الحكمة والحكماء

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً »

« قرآن شريف »

« الحكمة قائد والعلوم جنوده ولا فوز للجنود بلا قائد فيا ضيعة امة اضاع شبانها الحكمة »

« المؤلف »

خطبة ألقاها في نادي المدارس العليا حضرة الاستاذ

الشيخ طنطاوي جوهري

وهي نموذج كتاب مسمى بهذا الاسم سينشره المؤلف فيما بعد

مطبعة خرجي غرزوزي بالاسكندرية

سنة

١٩١٥

الحكمة والحكماء

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً »

« قرآن شريف »

« الحكمة قائد والعلوم جنوده ولا فوز للجنود بلا قائد فيا ضيعة امة اضاع شبانها الحكمة »

« المؤلف »

خطبة ألقاها في نادي المدارس العليا حضرة الاستاذ

الشيخ طنطاوي جوهري

وهي نموذج كتاب مسمى بهذا الاسم سينشره المؤلف فيما بعد

مطبعة فرجي غرزوزي بالاسكندرية

سنة

١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحكمة والحكماء ﴾

الحكمة ملك دائم (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب) (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) الحكمة معرفة الاشياء بقدر الطاقة البشريه والتخلق بالاخلاق الفاضلة المرضية وهي قسمان علمية وعملية فالعلمية الطبيعيات والرياضيات والالهيات والعملية سياسة النفس وسياسة المنزل وسياسة المدينه

ولقد قسمت المواهب على العقول قسمة عادلة فمنحت كل امة من المواهب ما تحتاجه وكما ان بيض الالوان مختلفون

فيها بحيث لا يشتبهون وهكذا الاصوات والجمال والقوى فهكذا منحت العقول متفاوتات استعداداً وان التفنن في التمييز بين الحسن والقبيح والخير والشر وهناك مسألة ظاهرة جلية مسألة الذكور والاناث في الامم فما من أمة أو بلدة أو قرية الا ونرى تعداد النساء يتساوى مع عدد الذكور تقريباً أفليس ذلك نصاً صريحاً من تلك الحكمة العالية ان هناك على هذا القياس في كل أمة قوماً اصطفتهم العناية فمنحتهم ميلاً خاصاً لاعمالها وان خالف ذلك هربارت الفيلسوف الالماني ومن عجب ان يقل الاذكياء في الامم لمكان الحاجة اليهم فهم قادة الشعوب والقواد أفراد وان ترى ذوي الصوت المتناهي في الحسن الا أفراداً هذه سطور مسطورة بحروف كبيرة هذا نصها (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) اذا جاء اليوم الموعود واختص كل امرىء بما خلق له هنالك تسعد الامم والامم اليوم لم تخط الا خطوات يسيرة في هذه السبيل ومن هنا تكون هذه النتائج

الاولى في كل أمة قوى وعقول تقوم بحاجاتهم اذا نموها الثانية اذا قل النابغون في أمة فالذنب على المجموع لجهلهم نواميس ونظام الكون ـ الثالث اذا أشرقت شمس العلوم على ربوع أمة اذابت جمود النفوس ونبغ اذ ذاك النابغون. الوجود كله كتاب مسطور في رق منشور طوت سجله الغياهب وأسدلت عليه الغيوب الحجب فان لمع بارق من سناه أو أضاء في الآفاق منه شارق فسناه في قلوب العقلاء وضوءهُ في عقول الادباء والدنيا خاتم أثار نقشه في النفوس وخزائن اقتسمتها الارواح البشرية بقوانين سنتها الحكمة الالهية وسطرتها الفطرة الانسانية وعنوانها (قد علم كل أناس مشربهم) فكأين من أناس لهم أعين في غطاء وآذان فيها وقر وقلوب غلف وقد أثبت البرهان بأوثق القضايا كما قدمنا ان الذكاء يمنح للامم على مقدار حاجاتها ولن يهلك الله أمة حتى يئيسوا عزائمهم ويميتوا بصائرهم ويدفنوا في قبور الجهالة استعدادهم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) واعلموا ان لا حياة الا بالشرف ولا شرف الا بالعمل ولا عمل

الا بالعزم ولا عزم الا بالعلم ولا علم الا بالفكر والنظر

﴿ ميزان الامم في الجسم والعقل ﴾

اذا انتعشت الامة واستيقظت من غفلتها وقامت من سباتها العميق علا كعبها وأخذت من الحياة قسطها واستكملت الحظين حظ الاجسام والعقول فتقوم بما يكفل للاجسام حياتها وصحتها وللعقول بما ينميها ويهذبها كأمة العرب والهند والروم في أوائل أمرهـا فان اتبعوا الشهوات الجسمانية كالرومانيين والفرس أو ضلوا في الخيالات الفلسفية كالهنود وبعض فرق متأخري الاسلام فهناك الوبال والهلاك

﴿ أقسام الحكماء ﴾

الفلاسفة أقسام - منهم من ولع بجمال هذا العالم فبحث عن الافلاك والكواكب والعناصر كطاليس اليوناني في القرن السابع قبل الميلاد وفيثاغورث في القرن الرابع قبله ومنهم من لم يعتن الاّ بنظام الامة وحكومتها وتهذيب النفس

وحسن الخلق كسولون في القرن السادس قبل الميلاد ومنهم من آثر تهذيب النفس ولم يعبأ بالعالم والطبائع كديوجينيس الكلبي بل تطرف في نظره فقال عجبت لعلماء الادبيات كيف يبذلون جهدهم في اتقان الوقائع والخرافيات التي لا طائل تحتها ويتركون أنفسهم لا يعبأون بها ويسخر من علماء الموسيقي فيقول كيف يوقعون الالحان و ينظمونها وهم عن نظام أنفسهم غافلون وكان يذم الرياضيين الذين يتسلون برصد الشمس والقمر والكواكب وهم عن أنفسهم غافلون ويذم الاغنياء البخلاء مع انهم يثنون على الورعين ويلعن الذين هم عن صلاتهم ساهون فاذا فرغوا منها رجعوا الى لهوهم ولعبهم وهم عن ربهم غافلون ومنهم من يرى ان السعادة في جميع معرفة الحقائق وتهذيب النفوس واصلاح المجموع فهذا آخر ما وصلوا اليه

فاما أولئك الذين أولعوا بهذه العوالم المشاهدة فهم افراد لا بد من وجودهم في أمتهم ليدلوا الناس على ما في العوالم المشاهدة من الجمال فيحدثون في أمتهم نهضات شريفة و يعشقونهم في العلوم وهؤلاء متى ظهروا ولم تطمس لعلامهم

قامت أممهم على اثرهم ولم ينهض لها جفن أو تنهض وأولئك الذين اختصوا بالاخلاق والاداب رسل الفضيلة وعنوان الثبات والشرف فالاولون لا مناص من الحاجة اليهم وهكذا الاخرون ومن جمع بين الامرين كابن سينا والفارابي وابن رشد واضرابهم فاولئك قواد الامم حقاً

(كيف يشوق الناشئون للحكم و يعشقون الفضيلة)

الشائق قسمان — طبيعي وصناعي فالاول جمال العالم والثاني الامثال والروايات واول ما يشوق الناشئة للحكمة هذا الجمال الباهر والنقوش البديعة في هذا العالم البهيج الجميل والنظر في جمال النجوم واشرافها وبهجتها والحكم المودعات في الاشجار والازهار والثمار والحقول وعجائب البر والبحر ان في ذلك لايات تشوق النفوس الى اكتناء كنهها والنظر في حقائقها فعار على من اظلته السماء واقلته الغبراء ورأى بعينه هذه المرائي الباهرة والنقوش البديعة فأعرض عنها ومن لم يحركه العود واوتاره والربيع وازهاره فهو فاسد المزاج يحتاج

الى العلاج يبيت ليلته في عمايته ونهاره في سكره وهو في غفلة لا يشعر بهذا الحسن والبهاء و يحشر مع الانعام ويحق عليه قوله تعالى (ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون) ولقد غر اقواماً ان ظنوا بانفسهم الشرف والرفعة فقالوا ان الانسانية كاملة فينا لما ابتدعنا من الصناعات وما عرفنا من طرق المعاش ونحن نقول هل زاد الانسان بالات النقل وعجلات السير الا رجلاً يمشي ابها و بالالات العاملة في زرعه وزيادة ثروته الا سواعد تزيده قوة حيوانية و بسيفه ورمحه وعدده الا اظافر يقتنص بها كالاسود والنمور والذئاب نعم ان ذلك كله من فروع الحكمة العملية وهي سلم الحكمة العلمية ولن تنال الامم سعادتها الا اذا جمعت بين الحكمتين وادركت الغرضين اضرب لك مثلاً بين نملتين ورجلين نملتان جمعهما نظام نملي في منزل جميل مزدان باجمل النقوش وابهى الصور ذي بهجة وجمال فاذا التقتا فهل يكون حديثهما الا في دودة اقتنصتاها او نخلة اغتنمتاها وهما عن القصر وجماله ورونقه في غفلة انهما لافضل من رجلين التقيا وكان حديثهما صورة منطبقة على احاديث

التحليين ولعمري ان الحيوان
والانسان اوتى عقلاً وفهماً فاذا قصر فقد تنزل الى البهيميه
وتدلى تحت الحيوانيه اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون

(نموذج محاورة بين الراشدين العاقلين)

اجتمع زارع وصانع ومهندس ورب منزل وملك وتاجر
وقائد جيش وطبيب وحكيم وعمراني تلك عشرة كاملة ضمهم
مجلس علم فقال كل منهم لنجعل جسم الانسان مثالا يكون
عبرة لمن بعدنا (١) فقال الزارع هذه الروح الانسانية زارع —
الجسم حقله وغيطه والاعمال والاخلاق والعلوم والاراء زروعه
والذكر الحسن وتخليد عمله وحب الله له غلاتها وثمراتها

(٢) وقال الصانع جسم الانسان دار صناعة واحدة
وثبت درجاتها نظمت قاعاتها فيها تصنع اعمال عجيبة تحيل
الاطعمة الى مادة كقوام اللبن فدم مسود فمحمر فلحم فعظم
فعروق فسمع وبصر وشم وذوق ولمس تصنع هذه الاعاجيب
بصناع ماهرين وعمال قادرين وحراس مسيطرين لا يعصون

(٣) قال المهندس بل هؤلاء العمال المهندسون ماهرون منظمون قادرون هندسوا اعضاءه وزينوا اشكاله وزوقوا بنيانه فترى قامة الانسان ثمانية اشبار بشبره وهي عشرة اذا مد يديه الى اعلى واذا مد يديه الى الجانبين كان عرضه ثمانية اشبار كطوله ثم اذا مدهما الى اعلى كانت السرة في منتصفه وطول وجهه كطول قدمه وهكذا تتبع علماء الهندسة جسم الانسان فالفوه جميعاً مهندساً هندسة جميلة منظمة لحكمة عجيبة خرت لها الاعناق سجداً وفهموا قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في إحسن تقويم) (٤) وقال رب المنزل الجسم دار والصدر والبطن والرأس وبقية الاعضاء قاعاته وغرفه وقوى الجسم خدمه وحشمه والروح رب المنزل (٥) فقال الملك العقل ملك والنفس وزير والجسم مملكة العقل يأمر النفس والنفس تربي الجسم فلا تزال تربيه ويرقى بمزاولة الاعمال وكلما زاد عملها كملت اخلاقها وقربت من ربها حتى تصير مطمئنة كالعقل وتفارق الجسم وتستقل بالامر والوزراء يقلدون الملوك حتى

ينالوا مراتبهم (٦) فقال التاجر جسم الانسان سفينة والنفس ملاحها والبحر مصائب الدهر وحدثان الزمان وويلاته والامتعة والبضاعة المحمولة انما هو عمل النفس والساحل الموت والمدينة المرادة للتجارة وراءه فيها حكم عدل يقيم الوزن بميزان عدل لا يخس شعيرة قد اشترى منهم انفسهم واموالهم فاحبوه واحبهم (٧) فقال قائد الجيش الهيكل الانساني فرس والحياة الميدان والناس المتسابقون وقصب السبق المعالي

(٨) وقال الطبيب الجسم مريض والعقل طبيب والمعاصي امراضنا والطاعات دواءنا (٩) قال الحكيم عجباً لهذا الهيكل الجسماني المنصوب والجوهر المكنون المنير أراه مبنيا من النور مصوراً من الحكمة مزدهراً بالجمال مملوءاً من العرفان هيكل الانسان وروحه كمشكاة (فتيلة) فيها مصباح المصباح داخل زجاجة تلك الزجاجة مصنوعة من كواكب دريه لارملية وما هذه الروح المشتعلة في الجسم الانور على نور نور العقل والعرفان على نور نظام الابداع والاحكام اني أرى الارض أسفل المخلوقات والماء يعلوهما والهواء يتلوهما

والنور يشرف عليها ومن ورائها قوة لا ترى تحيط بالجميع فتعجب اذا الفيت هذا الهيكل المنصوب فيه غرف من فوقها غرف مبنية نظمت على هذا النظام البديع العجيب ألست ترى الطعام والشراب وهما من الارض والماء في أسفل الطبقات كما هما في طبعهما فهكذا في وضعهما في طبقة البطن وتعجب من الهواء تراه في الغرفة الوسطى (الصدر) حبس في الرئة لنقاوة الدم ثم رقى كأنه رسول في الحياشيم ومخبر ومعلم وأستاذ ومرشد في الاذان ثم تولى النور أمر العلم فواصل العينين وكانتا في المقدم أعلى الجسم كما هو وضع النور من أعلى ثم تأملت فوجدت كل حاسة تستمد من الخارج هذه من الارض وهذه من الماء وأخرى من الهواء وأخرى من النور ثم رأيت عجباً عجيباً ورأيت الدماغ فيه اشرف الحواس وهو بمقل فحكمت حكماً عادلاً ان استمداده من عالم أعلى من الهواء والنور وهو العالم الالهي وكان هذا شعاع منه كما للشمس شعاعها وناسب كل ما يحس محسوسه (١٠) فقال العالم العمراني جسم الانسان حكومة منظمة والدماغ حكومتها وفي الرأس معطف

وتجاويف مفصلة مقسمة لكل قسم من العلوم جزء معلوم مفصلة تفصيلاً عجيباً قسمت العلوم والعواطف والاخلاق والأحوال والادراكات على تلك المراكز الدماغية تقسيماً عجيباً حتى لو اتلف أحدها ضاع ما اختص به من العلم والخلق وما هذه القوى في الدماغ الاصدي صوت الجسم صحة وفساداً غالباً فوجب أن نقتسم الامة أعمالها على مقدار قدرها وقواها

﴿ الشائق الثاني ﴾

كان قدماء الهند قديماً يشوقون تلاميذهم بحكايات عجيبة تهيجهم الى الحكمة وتدعوهم الى العمل وتحثهم على الاعتدال في طلبها والعدل بين الحكمة الجسمية والعقلية وكانوا يجعلون قصصهم على ألسنة الملوك والوزراء كبني اسرائيل على ألسنة الانبياء وكالمسلمين على السنة الاولياء وكأهل اوربا على السنة العشاق فمن قصصهم المروية ان ملكاً من ملوك الهند في الازمان الغابرة كان معرضاً عن الحكمة بعيداً عن الفلسفة وكان الوزير رجلاً عاقلاً حكيماً فتربص للملك الى ان اتفق

ليلة ان قال له الملك سر بنا نطوف في ازقة المدينة وشوارع العاصمة في ظلمات الليل وخرج اليها تحت ستار الظلام ففعلا وبصرا بنور ضئيل يلمع في حالك الظلام على تل فاقتربا منه اذا رجل حنى الدهر عوده واشعل رأسه شيباً وامرأة عجوز شمطاء جعد الضر جلدها وانحل الدهر عودها وقد افترشا روث الانعام على مزبلة وهما فرحان جذلان وهو يخاطبها بسيدة النساء وهي تخاطبه بسيد الملوك وهما طربان فعجب الملك كل العجب وقال للوزير لو عرف هذان ما اوتينا من الملك وما منحنا من النعمة لتنغص عيشهما فقال الوزير وانتهز الفرصة ايها الملك لعلنا اذا نظرنا ما عليه اقوام غيرنا احسن منا حالاً وانعم بالاً واسعد حظاً لزهدنا نعمتنا ولتنغص عيشنا فقال ومن هم اسعد منا فقال الحكماء ثم اخذ يشرح له ذلك ومما سأله الملك ان قال وما كتبهم قال اربعة انواع الكتب الدينية والكتب الحكمية الانسانية وهذا الكون البديع فهم الذين يفهمونه لا سواهم وهذه النفوس العجيبه البديعة اه

ومنها حكاية على لسان ملك هندي رأى في منامه كأن

رجلا جميل الطلعة حسن الهيئة قد اخترق الجموع ودخل فيما بين الخدم والحشم حتى وقف امامه لم يدافعه احد فعجب الملك وقال كيف اجترأت على الدخول بلا اذن او جهلت قدري ؟ فتبسم وقال انا لست من عالمك الحقير ثم عرج وهو ينظر حتى توارى عنه فاستيقظ الملك وقد كتم امره خوفاً على ملكه ان يزول وهيبته ان تسقط من النفوس ولم يطلع على هذا الامر الا الوزير وقال له ان لم تعتني بمن يوقفني على هذا العالم واسراره هلكت فارسل الوزير خطاباً لرجل حكيم في جزيرة سرنديب فارسل له تلميذيه وكان الملك اذ ذاك ملازماً الوساد لا يأكل ولا ينام حتى عجز الاطباء عن مداواته فلما ان حضر التلميذان ورآهما واخذا يشرحان حكمهما قام الملك كانما نشط من عقال فعلمه احدهما الطبيعيات والرياضيات والثاني الالهيات ثم اعرض هو والوزير عن الملك واخذا في نشر الحكمة وسلما الملك للمعلمين فطغيا وغرتهما الحياة الدنيا فكرههما الناس وتبرأ منهما الاستاذ وبعض علماء الاسلام يقول انهما المعبر عنهما بهاروت وماروت ومنها حكاية

الاعمى والمقعد تقود الناس الى الحكمة الجسمية والعقلية اذ قالوا ان ملكاً عظيم الشأن كان له بستان فاوى اليه رجلاً أعمى وآخر مقعداً فمكثا في بحبوحة النعيم يأكلان ويشربان وبنعمان وقد أوصى الملك ناطور البستان عليهما فلما بطرا النعمة وأشرا بصرا بالناطور يحمل كل يوم فاكهة من روضة خاصة للملك فاتحدا على ان يتناولا منها فشعر الناطور بنقص الثمرات فسألهما هل رأيتما أحداً تسور الحائط وجنى الثمر فقالا كلا فلما ضاقت به الارض بما رحبت ولم يجد وسيلة وأعيته الحيل كمن ذات ليلة تحت شجرة فرأى الاعمى يحمل المقعد والثاني يهديه فنصحهما الا يعودا فخاناه مرة أخرى فنصحهما فعادا فرفع أمرهما للملك فأمر ان يطرحا في الصحراء وينبذا في العراء تتقاسمهما النسور وتخطفهما السباع الكواسر وهذا المثل ضربوه لافادة ان الجسم والروح متلازمان فلهما الثواب وعليهما معاً العقاب ويشيرون بطرف خفي الى ان الحكمة توزع عليهما فمن عنى بالجسم وحده او بالروح وحدها فهو من الهالكين

﴿ شائق القرآن ﴾

اما القرآن فقد امر بالحكمة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب) (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب . قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) ويقول ـ (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين) ويقول (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) وقوله (او لم ينظروا في ملكوت

السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) يشير الى ان الامم النابذة للحكمة والعلم آيلة للهلاك متداعية للسقوط والخراب ويقول (ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة أعمى واضل سبيلاً) وفي قصص القرآن من عجائب الحكمة ما لا يفقهه الا القليل هذه قصة موسى وفرعون مصر والعصا وانقلابها حية وكيف آمن السحرة المصريون فاهلكهم فرعون وصلبهم على جذوع النخل مدعياً انهم اتحدوا مع موسى الذي كان تلميذاً في مدرسة الحكماء والسحرة في عين شمس ولما عبر بنو اسرائيل البحر ورأوا قوماً يعبدون اصناماً قالوا يا موسى اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون هؤلاء آمنوا اذ رأوا العصا انقلبت حية وكفروا اذ رأوا اصناماً تذكرهم عجل أبيس وابا الهول واضرابها واولئك السحرة رأوا بعلمهم ان عند موسى قوة الهيه أدركوها بحكمتهم فلم يرتدوا على أعقابهم فهذه تدعو للحكمة والعلم وترى قصة نوح للثبات على المجد

وقصة ذي النون للتنفير من اليأس والعجلة ومن عجب ان ترى في القرآن قصة اخرى عجيبة ذلك ان بلعام بن باعورا كان في زمن موسى عالماً مجاب الدعوة فلما ان جاء موسى يدعو قوم بلعام للدين اختار بلعام الكفر وخالف الحكمة واخذ يدبر الحيل معيناً على موسى وذلك قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) . فانظر كيف جعل من اوتى العلم ولم يعرف حقه واعرض عن الحكمة وتدلى الى حطام الدنيا وكان كلباً لا يفرق بين العفة والاكرام ولا بين السعود والنحوس يلهث اي يدلع لسانه ويقول انه اتبع هواه ونبذ العمل بعلمه لميل نفسه الى الارض وبقية القول ظاهر ومتى كان المتعلمون في الامم لا يطلبون العلوم الا لسد الشهوات ولم يعشقوها غراماً بها لم يعلوا بأممهم الى مصاف الامم وكلما كثر فيها من يحبون العلم لجماله والعمل بالفضيلة لنفس الفضيلة ارتقوا وهذان الحزبان

في الامم في حرب ونضال متى ارتفع ارباب الرذيلة في امة انحط ارباب الفضيلة والعكس بالعكس وهذا القانون عام في انحاء المسكونه

﴿ نبذة من حكم الحكماء ﴾

قال زينون اليوناني اكثروا من الاخوان فان شفاء النفوس بالاخوان كما ان شفاء الاجسام بالادوية وسئل أي الملوك افضل املك اليونان ام ملك الفرس فقال من ملك شهوته · قيل له ما الذي يهرم قال الغضب والحسد وابلغ منهما الغم · ونعي اليه ابنه فقال انما ولدت ولداً يموت وما ولدت ولداً لا يموت وقال اذا انقلبت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيم فقد ماتت من العيش العقلي · كان زينون لا يملك الا قوت يوم فقيل له الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغنى منه

﴿ حكم سولون ﴾

ان الجاهل اذا اخطأ ذم غيره وطالب الادب يذم

نفسه والاديب لا يذم نفسه ولا غيره · قال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن ورأى رجلا عثر فقال لان تعثر رجلك خير من ان يعثر لسانك وقال ينبغي للشاب ان يستعد للشيخوخة كما يستعد الانسان للشتاء ولا تهملوا امر انفسكم في ايامكم ولياليكم

﴿ حكم هوميروس ﴾

اثا اعجب للناس اذا كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم · اقهر شهواتك فان الفقير من انحط الى شهواته وقال من يعلم ان الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة وقال شفاء الاحزان كلام الحكماء والعمى خير من الجهل لان العمى موت للفاني وهو الجسم والجهل موت للباقي وهي الروح وقال لا تعد نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد عليك رايك

﴿ حكم ارسطوطاليس ﴾

لا تطمع احداً ان بطأ عقبك اليوم فيطأك غداً قيل له لا تنظر

فاغمض عينيه قيل لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه قيل له لا تعلم قال لا اقدر - اشارة الى ان القلوب حرة لا تملك الا بالاحسان

﴿ حكم بيون ﴾

كان يقول لا تعتقدوا انكم تمكنتم من الفلسفة حتى لا تحزنكم المحزنات وكان يقول ان الذين لا يقرؤن الفلسفة ويقرؤن العلوم الاخرى كعشاق امراة غنية جميلة مسلسلة يحادثون خدامها ويتباعدون عنها

﴿ حكم ديوجينس الكلبي ﴾

كان ملك يسمى نيس طرد من مملكته المسماة سيراقوسه فذهب الى مدينة فوارنته فصار يعلم الاطفال في المكتب للكسب ويضربهم بالعصا فدخل عليه ديوجينس وقال يا مسكين انت لم تصلح لحكم مملكتك فظلمت وها انت لا تصلح لتعليم الاطفال فانت في مكتب الاطفال كمالك على عرش الملك وكان يقول الناس في ذلة فالعبيد في طاعة السادة

والسادة في طاعة الهوى والهوى ظلوم كفار · ولديوجينس نادرتان عجيبتان (اولاهما) ان الاسكندر مر به وهو يصلح برميله الذي ينام فيه فقال له انا الملك اسكندر فقال وانا الكلب ديوجينس فقال له اسكندر اما تخافني فقال له الست عاقلاً قال بلى قال أنا لا اخاف من العاقل فقال انا احب مساعدتك فاطلب كل ما تحتاج فقال تحول حتى يصلحني نور الشمس فقد قطعت لذتي بها فتعجب وزراء الاسكندر فقال لا تعجبوا ايهما أغنى من هو قانع بعباءته او من يواصل ليله بنهاره ولم يقنع بعظيم سلطانه فعجب خواص الاسكندر فقال لهم لو لم اكن اسكندر لتمنيت ان اكون ديوجينس · (الثانية) كان في مركب فأخذ اسيراً ونودي عليه بالبيع في جزيرة كريد فلم يتأثر من تلك النكبة وبينما هو كذلك رأى رجلا غليظ الجثة حسن الملبس فقال ينبغي ان تبيعوني لهذا فانه يحتاج لمعلم فلما دنا قال تقدم يا صبي واشتر رجلاً فسئل ما تعرف فقال سياسة الرجال والحكم عليهم وكان بائعه قد منعه الجلوس فقال لا ضرر السمك يباع على اي حال فلما تم البيع قال لسيده مع اني الان

ملكك فاستعد لما آمرك به لاني اكون عندك اما بمنزلة حكيم او وكيل وعلم اولاد سيده حتى احبوه حباً جماً . وجاء قومه ليخلصوه فقال أيكم جنون الستم تعلمون ان الاسد ليس اسيراً عند من يطعمه . المطعم للسبع اسيره

كان حكماء المصريين والهنود في الاجيال الغابرة والامم البائدة مهبط الحكمة ومناط الرقي والسعادة ولما ان بزغت شمس الامة اليونانية على الكرة الارضية اخذوا يتلقون الحكمة عن الامتين وكانت مصر كعبة آمالهم ومنتهى غاياتهم وكانت عندهم بمثابة اوربا اليوم عند الامم الشرقيه ولكن اليونان لما كانت اقرب الى الامم الراقية اليوم ضاع نشرها وفاح مسك عبيرها وذكرها الركبان وها هي حكمة الهند اليوم أخذت تنتشر بين الامم

﴿ حكماء الهند ﴾

منهم برهمن الملك المعظم والامام المقدم ظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت الحكماء واستخرجوا الحديد وضربت في

يامه السيوف والخناجر وكثير من انواع المقاتل وشيدت الهياكل ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة وصور بها الافلاك والبروج الاثني عشر والكواكب وبين بالصورة كيفية العالم واورد بالصورة ايضاً اتصال الكواكب في هذا العالم واحداثها للاشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال الشمس واثبت في كتابه براهين جميع ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك

ومن أعجب اعماله ثلاثة امور

(الاول) انه جمع الحكماء فألفوا له كتاب السند هند (دهر الدهور) ومن فروعه المجسطي الذي اخذ منه بطليموس كتابه وسماه باسمه

(الثاني) تقدم الاعتدالين وقد زعموا انه يتقدم برجاً كل ٣ الاف سنة ولكن علم الان من الاستكشافات الاخيرة انه نحو الفي سنة فقط فالدور عند الهنود ٣٦ الف سنه وعند المصريين يقرب من ٢٦ الف سنة وهذا الدور يقلب حالة الكرة الارضية من عمران وخراب وبر وبحر وزلازل

واشباهها

(الثالث) انه اجتمع في زمانه الحكماء السبعة المنظور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتي نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن اين اقبلنا والى اين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة او ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا المنشيء لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة ام هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا ام هل هو غني من كل وجه عن ابقائنا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احداً من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثاني لو ادعي احد منا علم حكمة الباري عز وجل في عقله لكان ذلك نقصاً في حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعاً من الادراك فقال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدىء بمعرفة انفسنا التي هي اقرب الاشياء الينا ونحن اولى بها وهي اولى بنا .

فقال الحكيم الرابع ان المرء اذا اراد امراً نزع الى نفسه

أفلا ينظر في امرها . فقال الخامس من ههنا يجب الاتصال بعلماء الحكمة

فقال السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ألا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعاً فقال السابع انا لا ادري ما تقولون غير اني اخرجت الى هذه الدنيا مضطراً وعشت فيها حائراً واخرج منها مكرهاً

فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة ولقد نما الحصب ووفر المال وكثرت الخيرات وأخذت الارض زخرفها وازينت في ازمان اولئك الحكماء ومن بعدهم الى ما قبيل التاريخ الميلادي لما وازنوا ما بين الاجسام والارواح فلم ينهكوا الاجسام بالرياضات ولم يذروا العقول و يعكفوا على الشهوات بل كانوا في مجموعهم قائمين بامور دولتهم ناظمين لحكوماتهم ثم هم مهذبون نفوسهم متخلقون باجمل الاخلاق وقد عموا العرفان بين سائر الطوائف واخذوا يضربون الامثال للناس

في كل شيء حتى في العابهم التي منها النرد والواضع له هم الهنود و بعض المؤرخين يسنده للفرس و يعتمد الاول المسعودي في مروج الذهب واثبت انه في زمن ملك اسمه الناهور مثلوا به الدنيا واهلها فرتبوا أفقه اثنى عشر بيتاً بعدد الشهور السنوية والمهارك ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر والفصوص (الزهر) مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة المعروفة اذ ذاك لكل وجهين سبعة الشيش يقابله اليك والبنج يقابله الدوه والجهار يقابله السيه وجعل ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش ولكن اذا كان عنده حسن نظر في العواقب عرف كيف يتحيل على الغلبة وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص

ثم جاء الملك بلهيت وصنع له داهر بن صصة الحكيم الشطرنج فقضى به على النرد و بين الظفر الذي ينال الحازم والبلية التي تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتاباً

الهند ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطقين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات في مراتبهم مثل الشاه ومن تحته وجعلها ضابطة للملك حتى اذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة في الحروب نظروا من اين يؤتونه في عاجل وآجل ولما وقف الملك على غرائب هذا الاختراع سأل الحكيم ماذا يريد من المكافأة فكان جوابه ان يضع في البيت الاول حبة بر و يضعفها في البيت الثاني ولا يزال القمح يتزايد الى البيت الرابع والستين فاستصغر الملك امره وقال الحكيم ايها الملك انك اذ سألتني لم يحتاج في نفسي غير ما ذكرت واني لاطلب تدقيق الحساب فحسبوه فاذا هو صار قدحاً في البيت السادس عشر والقدح ٣٢٧٦٨ حبه واذا بلغ ٢٠ بيتاً صار ١٦ قدحاً وهو الويبة والاردب ست ويبات واذا وصل التضعيف ٤٠ بيتاً صار مخزناً كبيراً (شونه) وهو ١٧٤٧٦٢ اردباً وثلثا اردب فاذا بلغ خمسين بيتاً صار مدينة ١٠٢٤ مخزناً فاذا بلغ ٦٤ بيتاً صار ١٦٨٤ مدينة وارقام القمح ٦١٦ و١٥٥ و٧٠٩ و٠٧٣ و٧٤٤ و٤٤٦ و١٨ وما اسهل

حلها باللوغار يثمات و به تعرف قمج البيت الرابع والستين والجملة المجموعه مما قبله تساويه الاحبة واحدة كما هو قاعدة الاعداد المضاعفة فهذه آيات من آيات الهند الدالة على عنايتهم لتشويق الشبان للحكمة في العابهم حتى يشاهدوا جمال الحكمة في كل شيء

﴿ تمثيل الدنيا بالشطرنج ﴾

ان للهند في حساب الشطرنج اسراراً يفهمونها ولليونان والروم وغيرهم من الامم في الشطرنج نوع من اللعب بها وكان من الشطرنجيين الصولى والعدلى واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في العصر الرابع الهجرى ولا زالت الاخبار ترد لنا من الامم بلعبه وقد علمتم انه لا يعنينا الان منه الان الا حكمه المودعة فيه وليس يحضرني من كلام علماء العصر الحاضر الا ما ذكره هكسلي اذ قام خطيباً في كلية العمال في جنوب لندره قال

هب ان قوام حياة احدنا على كسب دور من الشطرنج افلا نحتقر الوالد الذي اهمل ابنه فلم يعلمه الشطرنج او مبادئه

وكذا الحكومة المهملة في تعليم رعاياها فلتعلموا ان حياة كل فرد منا تتوقف على لعبة اهم من لعب الشطرنج فرقعة الشطرنج العالم كله وقطعه ما يظهر من العالم امامنا وقواعده القوانين العامة والنواميس المودعة والاسرار والحكم وخصمنا في اللعب لا نراه ولا نعلم عنه الا انه حكيم منزه وعدل لا يتجاوز عنا لجهلنا بالقواعد فاذا حذق احدنا في اللعب افرغ عليه من جمال العلم جلباب وتحلى عقله بابهى زينة واجملها ونال سعادة الحياة

ومن اعاجيب حكماء الهند وعلوكهم كتاب كليلة ودمنه وقد كان قبل اختراع الشطرنج وقبل الميلاد بثلاثة قرون وهذا الكتاب من اعجب كتب العالم بل لا اشبهه في حسن نظامه الا بهذه الدنيا لها ظاهر يبهر الجاهل فيقف عنده لا يتخطاه وباطن لا يدركه إلا أولو الابصار ألفه بيدبا الفيلسوف بامر دبشليم ولقد تعلمون سبب التأليف وكيف فعل دبشليم الملك بالهند وكيف قام الحكيم وتلاميذه وعمموا الحكمة في البلاد ونظموها وكيف أصبح ذلك الحكيم وتلاميذه أصدقاء دبشليم فألف له هذا الكتاب سلوة للاطفال أدبا للشبان

حكمة للشيوخ وكيف ضرب الحمامة المطوقة مثلاً لائتلاف أمة واحدة والحمامة والغراب والسلحفاة والجرز والظبية لامم مختلفات اتحدت فكونت مملكة واحدة كالممالك المتحدة وكيف ضرب مثلاً للعدوين يتحدان لمصلحة وحاجة بالفأرة والمرة اذا اكتنفهما الاعداء من كل جانب حتى اذا قضى الامر افترقا وكيف ضرب مثلا للاعداء لا يجتمعون بالملك والطائر فتزه وكيف ترك الطائر صحبة الملك وبرهن بأن العداوة الجوهرية لا سبيل الى الاتحاد معها وكيف ذم العجلة بمثل ابن عرس والناسك كما ذمها القرآن في قصة ذي النون ثم انظر كيف ضرب مثلاً للاصدقاء يتقاطعون لاسباب ملفقة وبراهين واهية وحجج داحضة بالثور والاسد ودمنه وكيف أبان عن وجوه الحيل التي لا يحيق المكر السيء فيها الا بأهله والحيل النافعة بالاسود والغراب والسرطان والعلجوم وكيف علم الناس الحيل في قصة الغربان والبوم وان حكيم الغربان الفيلسوف قدم نفسه فدية لاخوانه الغربان فنشرت ذكره بعد موته وأكرمت أبناءه

(أهم أسباب انحطاط الهند الميل عن الصراط السوي)

(وهو اتزان الجسم بالروح)

قد تطرفوا في الحكمة فكان منهم عباد الكواكب والشمس والقمر وعباد الاصنام وعباد العناصر كالماء وأصحاب الوهم والخيال وغير ذلك فتفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض بعد أن وجهوا عنايتهم للبحث والتنقيب عن كل شيء فداهمتهم الامم الفاتحة

﴿ محاورة عجيبة بين الاسكندر وحكماء الهند ﴾

لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوكها بلغه أن في أقاصي أرض الهند ملكاً من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وان ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله فأرسل له كندو وكان قاهراً لنفسه مميتاً لصفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملاً لها على خلق كريم وأدب زائن فكتب

اليه كتاباً يقول فيه أما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فان كنت قائماً فلا تقعد وان كنت ماشياً فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب اجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك واعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لا يجتمع عند غيره أمثالها الا من صارت اليه عنه فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه في علمه وطيب لا تخشى معه داء ولا شيئاً من العوارض الا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم عرضاً للآفات والخطوب والبلاء وأنا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب الي من أن لا تكون عندي ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين في عدة

من الرجال وتقدم اليهم فقال ان كان صادقاً فيما كتب فاعملوا ذلك الي وذعوا الرجل في موضعه وان تبينتم أن الامر بخلاف ذلك وانه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فاشخصوه الي فمضى القوم حتي انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلساً خاصاً للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا في الاولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثاً لهم في أصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب في المباديء الاولى وتشاحن القوم ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء وتناهي بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورها من العلويات ثم أخرج الجارية اليهم فلما ظهرت لابصارهم وجدوها آية في الجمال كما ذكر ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية معهم وشيعهم

مسافة في ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية حار عند مشاهدتها و بهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي ومن حضره من فلاسفته والحكماء فاعجبه ذلك وتأمل اغراض القوم ومقاصدهم التي اليها كان اصدرهم واقبل بنظر الى علوم الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها ثم اراد اختبار الفيلسوف على حسب ما اخبر عنه فخلا بنفسه واجال فكره فسنح له سانح من الفكر باختراع معنى يختبره به فدعا بقدح وملأه سمناً وادهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلاً ودفعه الى الرسول وقال اقصد به الى الفيلسوف ولا تخبره بشيء فذهب الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف فقال لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الي واجال فكره وسبر المراد به ثم دعا بنحو الف إبرة فغرزها فيها في السمن وانفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر بسبكها كرة

مدورة ململمة متساوية الاجزاء وامر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها امر ببسطها وبأن تتخذ مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسماً صقيلاً تؤدي صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر الاسكندر اليها وتأمل حسن صورته فيها دعا ببطست فجعل المرآة فيه وامر بإراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظرها جعلها قدحاً مجوفاً يطفو على الماء فلما رآه الاسكندر ملأه تراباً ورده الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال انينه وظهر حنينه واقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم افاق من ذلك الحال وزجر نفسه واقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يانفس ما الذى قذف بك في هذه الحال وصار بك الى هذه الغمة ووصلك بهذه الظلمة وانت في النور تسرحين وفي العلوم تمرحين وتنظرين في الضياء الصادق والعالم المشرق انزلت الى عالم الظلم والمعاندة والغشم تخطفك

الخواطف وتتهرك العواصف قد حرمت علم العيوب والكون في العالم المحبوب وميت بشدائد الخطوب ورفضت كل مطلوب اين مصادرك الطيبة القوية حللت في الاجساد فقوى عليك الكون والفساد حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعي المهلكة والنيران المحرقه والريح العاصفة وصيرتك الاعمار في قرارات الاجسام لا تشاهدين الا غافلاً ولا ترين الا جاهلاً قد زهد في الخيرات ورغبت عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته يا لك من نجوم سائرة واجسام زاهرة في عالم شريف طلعت ولشيء ما وضعت الك من عالم نفيس قد كانت النفس في اعاليه ساكنة وفي اكنانه قاطنة فقد اصبحت عنه ظاعنة ثم اقبل على الرسول وقال خذه ورده للملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر اخبره بجميع ما شاهد تعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع للنفوس من النقلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوساً خاصاً ودعا به ولم يكن رآه

من قبل ذلك فلما اقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه قد اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم في هذا الفيلسوف فهو اذاً اوحد زمانه ولست اشك ان هذا الشخص قد علم ما راسلته به واجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في رقته احد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتأمل الفيلسوف الاسكندر فادار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على ارنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه تحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث امره فقال له الاسكندر ما بالك حين نظرت الي ورميت بطرفك نحوي ادرت اصبعك حول وجهك ووضعتها على ارنبة انفك قال تأملتك ايها الملك بنورية عقلي وصفاء مزاجي فتبينت فكرتك في وتاملك في صورتي وانها قلما تجتمع مع الحكمة وان صاحبها اوحد زمانه فادرت اصبعي مصداقاً لما سنح اليك واريتك مثالاً شاهداً كما انه ليس في الوجه الا انف واحد فكذلك ليس في دار مملكة الهند

غيري ولا يلحق احد من الناس بي فى حكمتي فقال له الاسكندر ما احسن ما تأتى لك مما ذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت لك قدحاً مملوءا سماً غرزت فيه إبراً ورددته الي قال الفيلسوف علمت أيها الملك انك تقول ان قلبي قد امتلأ وعلمي قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمي يستزيد في علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الاناء قال فما بالك حين عملت هذه الابر كرة وأنفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت أيها الملك أنك تريد أن قلبك قد فسد من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب في فهم الغايات والعلوم فاخبرتك مجيباً ممثلاً بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني على مرادي أيها الفيلسوف فاخبرني ما بالك حين جعلت المرآة في الطست ورست في الماء جعلتها قدحاً فوق

الماء يطفو ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت أنك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاشرت الي الحيلة في تقريب العلم الي الملك كاحتيالى بالمرآة من بعد كونها راسية في الماء حتى جعلتها طافيه عليه قال له الاسكندر صدقت فأخبرني ما بالك حين ملأت الاناء تراباً رددته لم تحدث فيه حادثة كما فعلت فيما سلف قال علمت أنك تقول قرب الموت وانه لا بد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس الذي هو الارض ودثورهـا وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية اللطيفة الشريفة لهذا الجسم المرئي قال الاسكندر صدقت ولا حسنن الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو أحببت المال ما أردت العلم ولست أدخل في علمي ما يضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان الغنية توجب الخدمة واسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي الصقال لها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها

والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القرب من بارئه

واعلم ايها الملك ان العدل نظام جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان الباري جل وعز وحكمته مبرأة عن كل ميل وزال وأشبه الاشياء من أفعال الناس بافعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأنيك في امورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فتحر ان تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاحترس من ان تقول تأمن من ان تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة ايامه والملك الشقي من انقطعت عنه فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه

﴿ اقوال حكماء اليونان والهند على تابوت الاسكندر ﴾

لما مات الاسكندر وطافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونان والفرس والهند وغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم و يستريح الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم

جعل بعد ان مات في تابوت من الذهب ورصع بالجواهر بعد ان طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً فقام احدهم ووضع يده على التابوت وقال اصبح آسر الاسراء اسيراً ثم قام حكيم غيره فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال اخر ان القوي قد غلب والضعفاء لاهون مفترون وقال اخر رب حريص على سكونك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال حكيم اخر اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال اخر وكان صاحب خزانة كتب الحكمة قد كنت تأمرني الا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك ثم قال اخر اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام الهامد والهشيم البائد وقال اخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمامة كيف انجلى وقال اخر وكان من حكماء الهند يا من كان للموت غضبته هلا غضبت على الموت وقال حكيم غيره هذا

الذي دار كثيراً والان يقر طويلاً وقال غيره سيلحق بك من
بعده موتك كما لحقت بمن سبقك موته وقال اخر ما لك لا تقل
عضواً من اعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل
ما لك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي انت به وقد
كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال حكيم وكان من نساك
الهند ان دنيا يكون هكذا اخرها فالزهد اولى ان يكون في
اولها وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد
وهيئت الموائد ولا ارى عميد المجلس وقال اخر هذه الدنيا
البطوبلة العريضة طويت منها في سبعة اشبار وقالت زوجته
روشنك بنت دارا بن دارا ملك الفرس ما كنت احب ان
غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذي سمعت
منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد خلف الكاس الذي تشرب
به الجماعة وقالت امه حين جاء نعيه ائن فقدت من ابني خبره
فما فقدت من قلبي ذكره

﴿ حكماء اليونان وتاثير حكمتهم على حياة ﴾

(الهند الاجتماعية)

كان في اليونان حكماء كثيرون والمقدم فيما بينهم يقال لهم الحكماء السبعة اولهم طاليس المالطي توفي سنة ٥٨٤ ق.م. وانكساغورس والكسمانس وابينزكانس وفيثاغوروس وسقراط وافلاطون وهؤلاء الحكماء ما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الثاني قبله واكثر هؤلاء الحكماء تلقوا العلوم في مصر كفيثاغورث المولود في القرن السادس قبل الميلاد ويقال انه طلياني فهو شيخ الايطاليين كما ان طاليس شيخ اليونانيين وكان له اساتذة ثلاثة من المصريين وكان مغرماً بأحبهم اليه الاستاذ فيزسيد ثم ذهب بعد ذلك الى بلاد الكلدان ليتعلم على المجوس وله تعاليم عجيبة لا تزال الآن باقية وابدع في الرياضات والموسيقى وكان يحض على العلوم العلمية والعملية وحفظ الروح والجسم وكان له تلميذان ذهب أحدهما الى الهند بروحانيته والآخر الى الفرس بجسمانيته

فترف الفرس ومالوا الى الاباحه في زمن الحكيم مزدك في عهد قباذ فأخلدوا الى الشهوات حتى جاء الاسلام

وأما الهند فاستقبلوا التعاليم الروحية مجردة عن الجسمانية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ونزلوا الى اسفل سافلين

ولما جاء العرب استولوا على الامتين الجسمانيين والعقليين ليعتدل الناس و ينصبوا الميزان وقد دخل في الامم الاسلامية عوائد الامم اللاتي دخلوها والممالك التي حكموها ألم تر أقواماً ابتدعوا بدعا واتخذوا عبادتهم هزوا ولعبا تلك لعمرك طرق هندية لا يسع المقام تفصيلها فتدهورت بها الامة في دركاتها وانحطت الى حضيضها

ارسطو

أما ارسطو فهو تلميذ سقراط وتوفى سنة ٣٢٢ق٠م٠ بعد موت الاسكندر وحكاياته مع الاسكندر مشهورة اذ استفتاه في قتل وجوه الفرس وملوكها وأعيانها فافتاه ان يغمرهم بالاحسان و يعمهم بالانعام حتى يتفرقوا ويلجأوا اليه ولقد أرسل له الاسكندر ألا يعلم الحكمة فاجابه بأنه ربما

رمز رمزا ولقد دون علماء الاسلام مذهبه وحصروه في ١٦ مسالة الخالق والسموات والنجوم وما اشبهها والجو والصواعق والذي نقل حكمته ابن سينا والفارابي واضرابهما وهناك حكماء آخرون كابيقور اليوناني المولود سنة ٣٤١ ق ٠م٠ والمتوفى سنة ٢٧٠ ق٠م٠ ولقد ابتدع في خلقة الانسان والنبات والحيوان مذهباً اشبه بالتخمين إتخذه داروين الانكليزي عمدة أفكاره وطريق مذهبه وقال باشتقاق الانواع بعضها من بعض واتخذ منه علماء الاسلام مذهب وحدة الوجود وتناسب العوالم فالمذاهب الاسلامية والافرنجية تتفرع جميعها من مذهب ابيقور ولقد حققنا هذا المقام في نظام العالم والامم

ومن حكماء اليونان سولون الحكيم ولد سنة ٦٤٠ ومات ٥٥٩ ق٠م٠ وكان من عظماء الحكماء اليونانيين في القرن السابع قبل الميلاد وبعض السادس من مدينة اثينا تعلم في مصر على أجلة علمائها واكابر حكمائها وقد كانت في ذلك الزمان كعبة القصاد وموطن الحكمة ومناط العلم ووجه أخص عنايته لسن السنن وتشريع الشرائع وتدوين القوانين العادلة

في الرعايا والاخلاق والآداب والفضائل وكان ذا حيل عجيبة ودهاء سياسي حتى تظاهر مرة بالجنون ونجحت حيلته وتمت سياسته اذ أنشد قصيدة بليغة لسوق أهل بلاده الى عمل عظيم وفتوح جزيرة مغتصبة فاسرعوا لفتحها وقاموا بسياستها ونظامها ولولا تظاهره بالجنون ما سمعوه وما استطاعوا لذلك العمل سبيلاً

وكان معظماً عند الاثينيين حتى انهم حاولوا ان يجعلوه ملكاً عليهم فما كان جوابه لهم الا ان قال ان الولاية الملوكية تجلب المصاعب ولن يمكن للمرء أن يخرج منها بعد ان يدخل فيها حتى قال بعض اصحابه انه مجنون ثم اتفقوا معه اخيراً على ان يسن لهم القوانين ويشرع لهم الشرائع ففعل ومن قوله ليس لنا هاد يهدينا كالعقل فليس ينبغي لنا أن نقول شيئاً الا بعد استشارته وينبغي للرجل الا يصحب امرأ الا بعد اختباره وينبغي ان يكون الكذب مبغضاً عند جميع الناس وقام على حراسة قانون البلاد أمداً طويلاً حتى اذا ما نكص اهل اثينا على اعقابهم واضلهم

عن الحق والفضيلة عظيم من عظمائهم ورأى سولون انه نصحه لم ينجح وان اهل اثينا لم يستعدوا للحكومة الجمهورية اخذ سلاحه والقاه امام باب مشورة الاهالى المسماه (السنت) وصاح يا وطني العزيز لقد ساعدتك جهد المستطاع واشهد الله اني ما ابقيت شيئاً لحماية الوطن والشرائع الا فعلته فيا ايها الوطن العزيز اني ذاهب ومفارقك الى الابد وهاجر الى مصر ليقابل العلماء والحكماء ثم ارسل له الملك (اكرسيوس في البريد خطاباً والح عليه في الذهاب له ومقابلته بمدينة (سادرينس) مقر ملكه فبعد اللتيا والتي اجاب الدعوة وحضر .

ولما ان جاء مدينته لقي رجالاً ذوي ابهة وشرف وجلال وكلما قابل واحداً ظن انه الملك فادا من بعده اعظم جلالاً وارفع شأناً فيقول هذا هو الملك ولم يزل يترقي في الصعود ويقابل الامراء حتي انتهي الى الملك فالقاه على اتم ما يكون من الملابس الفاخرة والحلل الباهرة فقال له الملك ما ترى يا سولون فيما اسبغ علينا من النعم وما اوتينا من المواهب

فقال لقد تجملتم بالملابس وما انتم في ذلك ببالغي شأو الطواويس في جمالها وملابسها الطبيعية فانكم تقاسون النصب في تحصيلها وصنعتها فقال الملك من اسعد الناس في نظرك فقال الملك طيلوس كان محبباً في اهل اثينا مسبغاً عليهم النعم فلما ان مات حزنوا عليه اجمعون فتعجب اكرسيوس من سولون وقال فمن بعده قال اخوان شابان من مدينة اثينا كانا شجاعين اكرما امهما ولقد كانت تغدو كل يوم للصلاة في المعبد فاتفق ان سائق العربة لم يوافها يوماً فجر الاخوان عربتها بدل الثورين فدعت الله لهما فعاشا قرير العين واحبهما الناس حباً جماً ولما ماتا حزن عليهما اهل اثينا فقال الملك افلا تعدني سعيداً يا سولون فقال انت اسعد من كثير من الناس ولكن انتظر العاقبة فغضب الملك من سولون وابعده فلقي لقمان وقد بلغه ما دار بينهما فلامه على ذلك فلم يعبأ بلومه وبعد ازمان من تلك الحادثة دارت رحى الحرب بينه وبين ملك العجم فوقع في قبضته اسيراً فامر باحراقه واوقدت النار فصاح سولون سولون فسأل فيروس

ملك العجم ما معنى هذا فقال سولون رجل حكيم يجب على الملوك مجالسته وقص عليهم القصص فرق قلب فيروس وعفا عنه وانعم عليه وواساه واتخذه له مشيراً وخليلاً

﴿ وصية لقمان ﴾

واعلم ان لقمان وهو المسمى ايزب كان عبداً صالحاً اوتى الحكمة وذكره علماء الشرق والغرب وسارت بذكره الركبان . وذكرناه هنا لمناسبة ذكر صاحبه — سولون وذكر الله حكمته في سورة سميت باسمه ليري الناس باب الحكمة ويحضهم على ان يأخذوها من كل حكيم ومن اي نحلة ودين قال في سورة لقمان

« واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من اناب

الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك »

﴿ التفسير ﴾

حملته امه فوهنت وهناً على وهن وفصاله فطامه المصير المرجع عزم الامور اي الامور التي ينبغي ان يعزم عليها وتعمل واهلها سموا اولي العزم انها اي الحسنة والسيئة ولا تصعر خدك اي لا تمل وجهك عنهم تكبراً ومرحاً خيلاء مختال اي متبختر في مشيه متكبر على الناس فخور بنفسه اي معجب بها واقصد في مشيك توسط فيه بين الاسراع والدبيب وعليك بالسكينة والوقار واغضض اخفض اعلم ان

في هذه الآية وصايا جليلة وحكما بديعة يقول لقمان لابنه وهو يعظه اياك والاشراك بالله في العبادة فاخلص العمل لوجهه واياك وعبادة الاصنام ورئاء الناس فانه شرك خفي فاذا اشركت به جل شأنه فقد اقترفت اثماً عظيما بل الشرك اكبر الجرائم واقبح الظلم لان من ثمن الاشياء واعلاها التوحيد ومعرفة الله عز وجل الذي منحك الحياة وجاد عليك بما به بقاء حياتك وقوام جسمك وروحك وكثير من الناس يقنعون بالايمان بالله عز وجل وتوحيده و يتولون عن فعل الصالحات و يتجنبون الخيرات كسلاً و يذرون البر جهلاً حتى ينسوا بر الوالدين وحقوق الابوين و يعرضون عنهما اتكالاً على الايمان بالقلب فلذلك اعقب الله عز وجل وصية لقمان لابنه بالتوحيد ان وصى جل شأنه على الابوين بالبر والاحسان وكانه جل شأنه يقول اي عبدي انا سبب وجودك و بقائك حقيقة وابوك سبب وجودك ظاهراً فكما خصصتني بالعبادة فاشكرهما بالبر والاحسان عبادتي لنعمائي وشكرهما و برهما لبرهما اياك وتربيتهما ومن لم يشكرهما

(وهو يشاهد الامهما عليه كل عشية وبكرة وحين من قيام الاب بالانفاق والتربية والمداواة والتعليم وحمل الام وارضاعها وسهرها لسهره وبكائها لبكائه وفرحها لفرحه وحزنها لحزنه) فهو بالا يشكر الله احرى ولعمري ان من لا يشكر من يحس نعمه بحواسه فما احراه ان ينسى ربه الذى انما عرفه بعقله . العاق لوالديه عاص لربه كفور لنعمائه ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله فاياك ان تقابل نعم الوالدين بالاغضاء والعقوق وقد وصاك الله عليهما .

وقد ذكر الحمل وهو سبب الوجود الظاهري والارضاع وهو سبب البقاء وذكر امك لانها اضعف فكانت احق بالتنبيه وأولى بالرعاية وكلاهما يستحق الاجلال والاعظام يقول الله لك ها هي نعمتي عليك وآلائي خلقتك ورزقتك وها هما ابواك ولداك وربياك فشكري باجل الخدم وهي العبادة وشكرهما بالبر والاحسان والمعروف ودفع الاذى وجلب الخير وسأجازيك الجزاء الاوفى ومصيرك الي ايها الانسان انا سبب وجودك في الدنيا ومصيرك في الاخرة لي فقم للوالدين في الدنيا بحقهما

واطعهما في صنائع الجميل ولا تطعهما في المعاصي والشرك وانهج نهج من أناب الي اي رجع من الانبياء والعلماء فهم اباوك في العلم كما ان والديك ابواك في الجسم فصاحبهما بالمودة وان هما خالفاك في الدين والاعتقاد ثم الكلام من قوله ووصينا الانسان الى قوله بما كنتم تعملون جاء من الله تعالى في غضون وصية لقمان لابنه ثم قال لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة الخ لما ذكر اولا معرفة الله عز وجل شرع يصف شمول علمه كل شيء فلا يخفى عليه خافية .فلو كانت سيئة المرء او حسنته ادق الاشياء خفاء او حجبها حاجب كثيف كالصخر او تناهت في اقطار السماء بعداً او ضلت في ظلمات الارض لاحضرها الله بقدرته فضلا عن علمه بها . كمال الانسان بالعلم الصحيح والعمل الشريف وتعدي اثره للغير فاشار للاول بالنهي عن الشرك وللثاني باقامة الصلاة وللثالث بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون مكملا للناس بتعليمهم وارشادهم ولما كان ارشاد الناس يتبعه خصلتان الاولى القلق والاضطراب مما يقاسيه من ايذائهم واخلاقهم

فاذا تجاوز هذه وقع في الثانية وهي انه يصعر خده كبراً وتيهاً لما له عليهم من الفضل والاعجاب بنفسه ارشد الله الناس الى مداواة الاولى بالصبر والثانية بنهيه عن الكبرياء عليهم والاعجاب بنفسه فان الله لا يحب ذلك المتكبر على الناس الفخور بنفسه فيري الناس انه ارقى منهم بما اتاه من التكميل ويعجب بنفسه بما فيه من الكمال فهؤلاء لا يحبون عند الله وهم خلقه وهو المعطي الوهاب ولا عمل لهم فكمالهم وتكميلهم للناس من الله تعالى ثم اشار الله عز وجل لناموس عام في علم الاخلاق وهو التوسط في كل شيء فذكر القصد في الحركة والكلام بقوله واقصد في مشيك واغضض من صوتك

من العجيب ان الله بهذا الوضع العجيب ادبنا بادب جميل فانه قبل ان يتم وصية لقمان لابنه بطاعة الله جل جلاله وصى الولد على ابويه كما وصى احد الاباء وهو لقمان ابنه بطاعة الله ليعلمنا جل شأنه المبادرة بالمكافأة والمسابقة بالشكر كانه يقول ها انا الله الخالق الرازق وقد جازيت الاباء بان وصيت

الابناء عليهم قبل ان أتم احدهم لابنه الامر بطاعتي فيقرأ الابناء في الاية وصيتي اياهم على ابائهم قبل ان يعلموا بقية وصية ابائهم لطاعتي

قلنا ان ذكر وصية لقمان لابنه فتح لباب الحكمة واعظام لامرها وامر الحكماء . ومن عجب ان شعراء الجاهلية ادركوا حكمة الحكماء بعقولهم ونظموها بشعرهم أفليس الاجدر بذلك من اوتوا نصيباً من الكتاب وحظاً من العلم بل منهم من نسج على منوال لقمان في وصيته كالصلتان العبدي قال يوصي ابنه عمراً

ألم ترَ لقمان أوصى ابنه ... وأوصيت عمراً فنعم الوصي
بني بدا خب نجوى الرجا ... ل فكن عند سرك خب النجي
وسرك ما كان عند امرىء ... وسر الثلاثة غير الخفي
كما الصمت ادنى لبعض الرشا ... د فبعض التكلم أدنى لفي

ومنها في وصف الزمان

اشاب الصغير وأفنى الكبـ ... ـير كر الغداة ومر العشي
اذا ليلة هرمت يومها ... أتى بعد ذلك يوم فسنى

﴿ المقارنة بين فلسفة الشرق والغرب وفلاسفتهما ﴾

قد كان اليونان يطلقون اسم الفيلسوف على من حذق واشتهر في فرع من فروع الحكمة العلمية أو العملية ولم يعقهم عن تلك التسمية عدم الاحاطة بالعلوم كما قدمنا ألا ترى بيتاقوس اشتهر بالفلسفة وان هو الاشجاع له حكم مأثورة و بياقوس وشيلون و بريانذرمي وقد كانوا سواسا لممالكهم وقد اشتهر الاول بالدهاء والثاني بالالغاز والثالث بالتقلب في احواله وايبنيدسي الزاهد العابد المقتصد وكانت شهرته واقامته في جزيرة كريد ولم يلم باطراف العلوم الا قليلاً منهم كطاليس وفيتاغورس وارسطو وأضرابهم وفي الاسلام لم يطلق اسم فيلسوف أو حكيم الا على من استكمل قوتي العلم والعمل كالقطب الشيرازى صاحب كتاب الاسفار وابن الطفيل وابن سينا ولقد اختزل علماء الافرنج الفلسفة وخصوها بعلم النفس ونبذ من المنطق وطرف من أحوال الانسان الشخصية والسياسية و بعض الواجبات والاداب ودرسوها للشبان علماً

وعملاً وتمريناً وايضاحاً جميلا

ولعمرك إنها لطرف من الحكمة العامة ومع ذلك لا يكادون يسمون باسم الفيلسوف الا اولئك الافراد النابغين الذين قلبوا النظام العلمي في ديارهم كباكون ولوثر وسبنسر وداروين وهيكل ولوك

ومن العجب أن ترى الفلاسفة الاوربيين يتبجحون بقولهم استكشفنا دوران الارض حول الشمس مع انها مشروحة قبل ميلاد كوبرنيكوس الالماني بنحو مائة وخمسين سنة ويقولون أن اسحق نيوتن أوحى اليه عقله وأدى اليه جده مسألة الجاذبية اذ يصر تينة هوت الى الارض مع أنها مشروحة في كتبنا أنظر المسعودي وهو قبل اسحق نيوتن بنحو ست قرون اذ نقل عن الفلاسفة الاسلاميين أن الارض مغناطيس تجذب ما حولها وهكذا يزعمون أن دروين الانكليزي هو المستكشف للارتقاء

وقد أوضحنا فيما كتبنا أن ذلك مسطور في كتب أسلافنا وقد سموه دائرة الوجود ويخيل للشبان الشرقيين أن نظرية المد والجزر حديثة العهد وها هي مشروحة في كتاب

المسعودي وغيره شرحاً وافياً

وقد ادعى بعض أرباب المجلات العلمية في ديارنا أن قياس الامة على هيكل الانسان وتصويرها كشكله ونوابها كاعضائه اختراع أوروبي مع ان العلامة الفارابي قبل وجود أوربا شرحها شرحاً وفي بالفرض ولقد شرحناه في كتابنا نهضة الامة وحياتها أيما شرح وكذا في نظام العالم والامم

ومن أراد مئات من أمثال هذه المسائل فليراجع كتاب تاريخ العرب للعلامة سديو فقد كشف النقاب عن مخازي اصوص المخترعين الذين يترجمون الكتاب العربي ويحرقونه ثم يقولون هذا من أعمالنا واختراعنا وان هم الا مفترون

وقد كان من المسلم عند القدماء أن لا فراغ في العالم وبرهنوا عليه ببراهين لا تقبل النقض مثل أن الفراغ المفروض ليس يخلو من كونه اما نوراً واما ظلمة والنور والظلمة عرضان والاعراض لا تقوم الا باجسام فلا فراغ في العالم ثم أن هؤلاء لم يعلموه الا في أواخر القرن التاسع عشر ببرهان آخر عملي ومن فروعه تلغراف ماركوني

وترى كتاب الجغمين في علم الهيئة من نحو سبعة قرون يذكر مسألة رجلين مسافرين من نقطة واحدة على سطح الكرة هذا مشرق وهذا مغرب ثم التقيا بعد حين فزادت أيام أحدهما ونقصت أيام الاخر ثم نرى الغربيين لا يكادون يلقونها على تلاميذهم الا بهيئة رواية طويلة ولقد قال لي أحد العلماء الاوروبيين أن حكيماً من حكماء المانيا الف في القرن الثامن عشر كتاباً في الفلسفة للتفرقة بين المعقولات والمحسوسات فذاع صيته وانتشر ذكره في انحاء المسكونة ثم قال ولقد عثرت على ذلك البحث بنصه في (الفصوص) لمحيي الدين وعزم على ترجمته بلغة الانكليز و بالاجمال انا نحب الحكمة لذاتها ولا نبالي من أى المصادر أخذناها ولا مناص لنا من استخراج كنوز أبائنا الاولين واقتباس حكمة الاخرين من الغربيين فان يتم السمع الا باذنين ولن يتضح المبصر الا بعينين

« انتهت الخطبة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه »
(وسلم آمين)

﴿ تقريظ كتاب نظام العالم والامم ﴾

« الجمعية الاسيوية الفرنساوية »

(والشيخ طنطاوي جوهري والاسلام)

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنساوية من ظهور الحقائق في كتاب نظام العالم والامم فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التي تدار بجمع من فحول الدكاترة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الاتي أسماؤهم

(١) المسيو باربيه منار (٢) ا٠ بارت (٣) ر٠ باسي (٤) شاقايه (٥) كليزمون چانو (٦) هالقي (٧) هيبارت (٨) ماسبيرو (٩) رينس ريفا (١٠) سيتار

بمجلتها التي صدرت في شهري يناير وفبراير سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية الذيول تحت العنوان الآتي :

(الشيخ طنطاوي جوهري استاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والامم أو الحكمة الاسلامية

العليا المجلد الاول وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ أفرنكية)

ان كتاب نظام العالم والامم الذي ظهر المجلد الاول منه هو أحد كتب عديدة الفت للنشأة الحديثة الاسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على نظريتين اثنتين

أولاهما ان الدين الاسلامي دين الفطرة أى ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية

ثانيتهما ان هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناظمة لعقده

ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله في مؤلف صغير سماه (الزهره) وأبان فيه أغراض الكتاب بجزئيه وهي تسعة مباحث شرحها شرحاً وجيزا في زهرته التي هي خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب

ونبتدىء الان بايراد ما في الكتاب من المباحث باختصار

فنقول ان مباحثه تسعة

(الاول) ان الانسان مسوق بغزيرته للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل العجيب أوحى اليه معرفة الاعداد المنطوية في نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الاعداد وترتيبها من الواحد وايصالها الى ابعد غاية بل الى مالا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والاعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والسطوح والاجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الاجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلائق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله

(الثاني) بحث واسع في علم الفلك الحقيقي والهيئة

(الثالث) درس علم الطبيعة مع ايضاح قوانين (نيوتن) و(كيبلر

(الرابع) مبحث واسع في علم النبات واعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات

(الخامس) مبحث مسهب في الحيوان وسلسلة ارتقائه

مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج في ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحاً وافياً جداً حتى انه لم يأل جهداً في ايضاح ما يسميه (داروين) بقاء الاصلح والاوفق للوجود والارتقاء الذي تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب الموالد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة وقد ذكر المؤلف ان مذهب (داروين) كان معروفاً قديماً عند علماء العرب واليونان وانه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا

— المادة الاثيرية — العناصر — المعدن — النبات الحيوان — الانسان — الملك — والله فوق الدائرة

وكانوا يربطون الانسان بالحيوان في القرد والفيل والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذي يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف ان مذهب (داروين) محصور في الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التي شرحها العرب وان (داروين) ربط ما بين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من وجهين

(١) ضعف الرابطة (٢) وقصور البحث على قوس من الدائرة

(السادس) علم التشريع اي تشريح الجسم الانساني

(السابع) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكاتهـا وتأثيرها في العالم في جميع الازمان

(الثامن) الوحدة العامة في العالم وهي ظاهرة في هيئة الامة ونظام الكون (بمعنى ان هيكل الامة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا الكون المتقن)

وقد اثبت ذلك بايراد آيات قرآنية وبارا قدماء الفلاسفة (كفيثاغورس) والعلامة الفيلسوف (الفارابي)

(التاسع) في العمران الاسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون التي يراها المؤلف موافقة لان تعرض على بساط البحث والتمحيص لتنتشر في هذا العصر الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون انفسهم لهذا التعليم واهم هذه الواجبات هو الرجوع دائمًا الى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التي تنشأ عن السياحات شرقًا وغربًا طلبا لدراسة احوال الامم شرقية وغربية

وقد انشأ المؤلف نظرية في التوحيد اي (الوحدة العامة) عجيبة بفطنة وحكمة وذكاء عجيب ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادىء القرآن وملائمة كل الملاءمة لما شرحه العرب من دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والدورة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقي من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة

وكما ان الواحد نشأ عنه جميع الاعداد التي لا تتناهى فهكذا نشأت الانواع التي لا تنتهي من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة (٩٠ وما يليها ولا جرم ان هذه منطبقة تمام الانطباق على دوران الافلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعيه والمواليد الثلاثة

وللمؤلف عناية كبرى برد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس

ولقد انحى المؤلف على جملة من العلماء المسلمين (لا المحققين (صفحة نمرة ١٨)

ورماهم بجهل مقصود القرآن وخواء لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي اذ ظنوا انه وحده ينجي في الحياة الدنيا والاخرة وذكرهم بانهم فاتهم ان المسيحيين بنبوغهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والادب قد سبقوا المسلمين شوطاً بعيداً مع ان ما صرفوا فيه عنايتهم وافرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والفرض الحقيقي منه

ان القارىء لهذا الكتاب يصادف عجباً عجيباً فيه وامراً مدهشاً غريباً يرى ان المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكورة في القرآن وهي آية الطير وابراهيم

(واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم)

(السورة الثانية اية (٢٦٢))

قارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماوي بين للماء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك ان خليل الله ابراهيم

طلب من الله دليلاً ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فامره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم امر بدعائها فجيئت باذن الله فكان ذلك اطمئناناً لابراهيم عليه السلام

فمن مهارة المؤلف المدهشة مقارنته لهذا بالتحليل والتركيب الكيمائيين وحقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من اهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به

وبالجملة فان المؤلف بتفسيره (العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار (تام) لايات القرآن يثبت اتحاداً تاماً ما بين الاستكشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن و يستدل على ذلك بايات من الكتاب المقدس (القرآن)

صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بان من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما و يفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم اشد الاثم لشدة حاجة المسلمين لذلك

وأكد في (صفحة ١٢٤) ان المسلمين الذين يظنون تنافي

القرآن والنواميس العلمية هم اجهل الناس بالامرين وابعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تمنى المؤلف ان تغرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما اورثته المدنية الغربية لابنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلا لجام يكبحها ولا زاجر يردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الامة بالة ميكانيكية ان تظهر نتائجها و يدوم عملها الا بصلاح كل جزء منها اولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانياً فكما ان الالة لا تدوم الا بقوة كل جزء منها و بحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الامة لا دوام لها الا بصلاح أفرادها اولاً وبالنظام الشامل والدستور المنظم لاجزائها المبني على العلم و بالحكومة العادلة ثانياً (هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب)

نحن لا يسعنا الا الاعتراف للشيخ طنطاوي جوهري بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء فانظر كيف اتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية

وفنون الاداب العربية الواسعة وأبرزها بعبارة وعبارة عالية ثمينة و بلاغة باهرة تترقرق حسناً ونتيه عجباً تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاماً مملوءة حياة وحكمة

وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لانه ايضاً ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (افبريه) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة اينما وجدها

الشيخ طنطاوي جوهري رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين و بهاتين الصفتين فسر القرآن الذي اثبت انه دين الفطرة بما هو اكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية ايا موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجمدوا على الالفاظ جموداً معيباً ادى الى انحطاط المدارك الاسلامية في الاعصر المتأخرة فانحطت بذلك الامم الاسلامية فبهذه المباحث يخاطب الموءلف الامم الاسلامية عموماً وعشاق البحث من كل امة

و يحاول ازالة الغشاوة عن اعين الامم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجمود المخيم عليها في جميع الاقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من اي دين واي نحلة ببلاد الشرق لان بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الادنى بالامم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة اه

وبعد ان انتهت المجلة من تقريظها كتاب نظام العالم كتبت كلمة عن التاج المرصع ترجمنا منه ما يأتي

هذا المؤلف اهدى الى الميكاد وليقدم الى مؤتمر الاديان الذي انعقد سنة ١٩٠٦ افرنكية باليابان

ان احالة المؤلف بالاشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب نظام العالم والامم في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتابين يرميان لغرض واحد وان كتاب التاج المرصع كمتمم لنظام العالم والامم

وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغة الاوروبيه في حين ان شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركيه ونشره في فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذي ارسله الى الميكادو وذكر موضعه وسبب وضعه

ان القارئ لهذا الكتاب يستنتج ان من اطلع على الحقائق العلميه ودرس غوامض الفلسفه وخلا من الغرض والتعصب فانه يجدها منطبقه تمام الانطباق على الدين الاسلامي ؟ اه التقريظ

﴿ ما المقصود من هذا العالم ﴾

« من المقالات التي كان ينشرها المؤلف في جريدة الفلاح »

منذ ٢٠ سنة

تأمل ايها اللبيب فيما تراه من هذا العالم واجل نظرك فيه لتعرف ما المقصود منه وما الذي اريد به فانه لا يتصور ان يخلق عبثاً مع هذا الاتقان البديع والاحكام . وهذه مسالة اشتغل بحلها كثير من فلاسفة العصر الحاضر واكابر الفلاسفة الاسلاميين

وقد نظرت في كلام كثيرين من علماء الاسلام المتقدمين والفلاسفة المتأخرين المتعلق بهذا الموضوع فعلمت سبق الاولين في مضمار الحقيقة وتأخر المتأخرين وتحيرهم واضطراب اقوالهم وتباين ارائهم وقول بعضهم باستحالة معرفة الحقيقة . واليك مقالاً وجيزاً معرباً عن الحقيقة اصطفيت فيه اللب ونبذت القشر عن القلب . فقلت

من تأمل في هذا العالم وكانت له بصيرة وفادة عرف بالبداهة ان له غاية وثمرة وانه يستحيل ان يكون خلق

عبثاً و باطلاً « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا» فلم يبق الا البحث عن تلك الغاية بطريق عقلي حتى يظهر ظهور الشمس في رابعة النهار فاننا اذا نظرنا اولاً الى الاجرام الاثيرية مثل الشمس والقمر والكواكب المنظمة البديعة المحكمة وجمالها الباهر وضوئها الظاهر وحسابها المتقن وسعتها وحيرة العقول في كنهها وعظمها نجدها خادمة للعالم السفلي مما على الارض من معدن ونبات وحيوان وانسان فان اشعتها تنبعث على الارض وحرارتها تصلح نباتها وحيوانها وغير ذلك .

ثم اذا نظرنا ما على الارض من تلك المخلوقات الاربعة التي تخدمها الكواكب العلوية والاجرام الاثيرية نجد ان المقصود منحصر فيها فان المعادن مثلا بعضها يجعل اواني كالنحاس و بعضها آلات بخارية واخرى قتاله كالحديد والرصاص و بعضها حلياً ونقوداً كالذهب والفضة فالمعدن اذاً خادم للنبات والحيوان والانسان فمنه تصنع الآلات ولا تقوم هذه الثلاث الا بها . وان قلنا لعل المقصود

الذي نبحث عنه في النبات رايناه غذاء للحيوان والانسان فليس مقصوداً . واذا نظرنا الى الحيوان نجده كله مسخراً للانسان « فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب »

وحينئذٍ يجب ان يكون ذلك المقصود وتلك الغاية هو الانسان ليس العلويات لانها خادمة للسفليات وممدة لها ولا المعدن لانه وان كان مخدوماً للعلويات فهو خادم للنبات والنبات غذاء للحيوان والحيوان كله مسخر للانسان « كما قدمنا » ولذلك قلنا ان المقصود من هذا العالم هو الانسان . وهنا يدهش العقل وينبهر الفكر فيما قصد منه اذ لا يصح ان يكون القصد منه شكله الظاهر كحسنه واعتدال قامته ونقويس حاجبيه وتورد وجنتيه ولحمه وعظمه وعروقه فان ذلك كله من الاجزاء الارضية ومصيره اليها وقد قدمنا انها ليست مقصودة . فوجب حينئذٍ ان يكون المقصود منه صورته الباطنية وصورته الباطنية هي الارادات الغالبة على النفس وهذه الارادات لا تنحصر

فالناس شتى اذا ما انت ذقتهمُ لا يستوون كما لا يستوي الشجرُ
هذا له ثمرٌ حلوٌ مذاقته وذاك ليس لهُ طعم ولا ثمرُ

فمنهم الجاهل والعالم والتقي والفاجر والصالح والطالح والشرير والخير والخبيث والطيب والشره والعفوف والطامع والقانع والمولع بزخرفة المنازل والزاهد والمغتر بالرئاسة وقهر الخلق والخاضع وغير ذلك . ويجمع ذلك كله ثلاث قوى — القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة العقلية . فانحصر المقصود من هذا العالم كله في هذه القوى الثلاث

لكننا اذا نظرنا الى القوة الشهويه نجد حاصلها يرجع الى المطاعم والملابس والتزاوج فالمطاعم والملابس لبقاء الشخص والتزاوج لبقاء النوع وقد شارك الانسان في هذه القوة جميع الحيوانات على اختلاف طبقاتها بل ظهر بالاستكشافات الحديثة ان جميع النباتات فيها هذه القوه ايضاً فهذه الحيوانات تأكل لتعيش فالاكل وشهوة الغذاء ليست مقصودة لذاتها فثبت ان القوة الشهويه خادمة لما عداها من القوتين الاخريين والخادم مقصود لغيره لا لذاته واذا نظرنا الى القوة الغضبيه

نجد ان حاصلها يرجع الي تسلط الانسان وقهره لغيره من ابناء جنسه كان يكون متكبراً باطشاً فتاكا قاهراً الى غير ذلك الا ان صاحب هذه القوة يرجع الى ذوي العقول السليمه . ولا يضبط ملكه اذا كان ملكاً الا بالسياسات والاداب التي يده بها اكابر دولته وعقلاء امته وعلماؤها وايضاً قد شارك الانسان في هذه القوة الاسد والحيوانات المفترسه فان لها اعظم سلطان واقوى قهر حتى ان الاسد اذا حط عصا التسيار بواد لم يبق فيه حيوان قوي او ضعيف الا هرب منه اذ تنهلع قلوب اقو يائها لروءيته فضلاً عن ضعفائها. فاذن ليست قوه الغضب هي المقصودة لشيوعها في الانسان والحيوان « وقد حصرنا المقصود في الانسان كما تقدم » ولانها تابعة لاشاره العقل منقادة له والمتبوع اشرف من التابع

بقي معنا القوة العقلية وقد قلنا ان القوتين المتقدمتين خادمتان لها وتابعتان لاشارتها والمتبوع اشرف من التابع وعليه يمكننا ان نقول ان المقصود من هذا العالم كله هو العقل

والعقلاء ثم للعقل وجهان وجه به تحصيل قوام الحياة كالمطعم والملبس والمسكن والرئاسة وتوابع ذلك ووجه الى عبادة الخالق وتقديسه ومعرفة جماله وجلاله وبهائه وحكمه في ملكه وملكوته . وبديهي ان الوجه الاول ليس مقصوداً والا كانت النتيجة مقدمة

وتوضيحه انا اعتبرنا قوة الشهوة والغضب مقدمتين للعقل خادمتين له . اذ بهما بقاء الاجسام التي هي مركب العقل . فاذا جعلناه مقصوداً لهما صار مقدمة وهما نتيجان وهو فاسد لانه يقال لم نأكل فيقال لنعيش ويبقى جسمنا ويصح عقلنا ونتفكر . ثم يقال ولم نتفكر فيقال لنأكل ونعيش . فتكون الحياة كدورة السواقي (اولها ـ آخرها)

فثبت ان المقصود من هذه العوالم كلها هم العارفون بالله سبحانه وتعالى المتحققون بجماله وجلاله وكماله وملكه وملكوته وحكمه وبدائع صنعه وكل هذه العوالم خدم لهم . لانهم ترقوا بتلك القوة الى عالم آخر يناسبهم لظهورها هناك (وان الى ربك المنتهى) ومن هنا يفهم معنى قوله عز وجل (وما

خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً »

واجمال القول ان العالم من عرشه لفرشه خادم للانسان وجميع قواه خادمة لعقله فقوة الشهوة والغضب وتوابعهما من المطاعم اللذيذة والملابس اللطيفة والمركب النفيس والزينة الباهرة والزخارف الظاهرة والقهر والغلبة ونفوذ الكلمة كلها خادمة مخلوقة له ولذلك ترى العقلاء اجمعوا على وجوب استشارة العقل في كل حركة وسكون وصغيرة وكبيرة من الاعمال فان عصى العقل واستشير الهوى واستبدت كل قوة بما تحت امرتها احلت بصاحبها الويل والثبور وعد في حياته من اهل القبور ومتى خضعت القوى كلها للعقل فامر ونهى ولم يعص امره وخلصت النفس من الرعونات والرذائل واتسمت بالعفة والشجاعة والحكمة والعدل التي هي امهات الاخلاق استعدت لقبول الكمالات من العلوم والمعارف الالهية فكل ما ذكره علماء الاخلاق والدين من الكرم والسخاء

والحياء وعلو الهمة والنجدة والعفة والعدل والصبر والشكر وغير ذلك وما اشاروا اليه من العبادات كالصلاة والصوم والحج والتضرع الى الله عز وجل معدات لتفريغ النفوس من الشواغل البدنية والولوع والشوق الى تلك الحضرة العلية حتى تصفو لتنطبع فيها المعارف الالهية . وهناك منتهى اللذات وغاية الكمالات

فملوك الارض القاهرون وفراعنتها المتألهون وقياصرتها الغالبون واكاسرتها السياسيون وعظماؤها المتكبرون واغنياؤها المترفون لم يدر الفلك من اجلهم ولم يخلق الملك لجلهم او كلهم ولم يقصدوا من هذا العالم وانما هو شجرة هم اغصانها والاغصان مقصودة لغيرها وهو الثمر وثمر شجرة الكون العلماء العارفون

ومن ذكرناهم في الحقيقة خدم للعالم ولذلك تراهم يقبلون يديه ويقبلون عليه ويعظمونه ويجلونه كان نفوسهم معترفة بفضله مذعنة بقصورها في قصورها وذلك ربما اوجب دهشة وحيرة حيث يقال كيف تجعل هذه العوالم المشاهدة

من علوي وسفلي خدماً لاقل جزء منها وما نسبة ذلك النزر اليسير اليها (وهم العلماء) الا كالقطرة من البحر

اقول ان هذا ليس بدعاً بالنظام ولا خللاً في الاحكام فان من تأمل في الاحوال الطبيعية علم اطراد هذه القضية ألا ترى ان ساق الشجرة وعروقها الضاربة في الارض واغصانها واوراقها وازهارها وقواها الظاهرة والباطنة انما غايتها الثمرة وهي قليل بالاضافة الى ذلك كله

وهذه الممالك والدول الصغيرة والكبيرة تصرف الاموال الطائلة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة على الوف مؤلفة من التلاميذ ولا ينال الشهادة العليا منهم الا الاقلون . وهذه الحكومة المصرية تصرف في سبيل تعليم ابنائها ما ينوف عن مائة الالف جنيه سنوياً ثم يتخرج من مدارسها العليا قليلون ليكونوا عضواً لها تستخدمهم في مهام امورها وتوظفهم في دوائرهـا العالية وتسلم اليهم مقاليد الامور وما ذلك الا لكونهم رضعوا لبان المعارف وارتشفوا من منهل العلم العذب الحلو فصاروا علماء اذكياء لا جهلاء اغبياء فهم في الحقيقة

أولى من غيرهم عديمي العلم والمعرفة

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل ادراك العلا غرضا

قلنا ان بهجة الانسان وانسه ولذته وكماله بالعلوم الحقيقية والمعارف العالية وذلك ان كل شيء من حيوان وانسان لذته في كماله الخاص به وخاصية الانسان التي ميزته عن الحيوان هي العلم والمعرفة فلا لذه ولا بهجة اعلى ولا اجمل منهما ومتى عرفت حقائق هذه العوالم بوجهة خالقها من حيث كونها آثار كماله وافعاله كانت اعلى عباده واجلها والذها (وما يعقلها الا العالمون) ولا يذوق هذه اللذه الا لاقلون والكمل الراسخون

واعلم ان اللذات كلما كانت مشتركة بين طوائف كثيره من العالم كانت اللذه بها قليلة والنفوس بها اقل ابتهاجاً واضعف وكلما قل الاشتراك فيها واختصت بها طوائف قليلة عظمت بهجة النفس بها واشتد الشوق اليها ولذلك كان ادنى اللذات واضعفها ما اشترك فيه الانسان والحيوان بل والنبات وهو قوة التغذية والتناسل ثم لذه الغضب اقوى

منها وارفع اذ لم تكمل الا في الانسان و بعض الحيوان كالسناع ولذلك ترى الملوك وارباب المناصب السامية يحقرون كل لذه و يضحون كل شهوه في سبيل الحصول على الفهر والغلبة

كما حكي عن بعض الملوك الامويين انه ايام الحرب امتنع عما احل له من النساء وتمثل بقول الشاعر

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وعن بعض ملوك الفرس انه كان يعشق جارية عشقاً مفرطاً حتى انها كانت تركب وراءه وقت الصيد في الخلاء فاقترحت عليه ما كاد يعجزه من فنون الاصطياد فجعل يمزق جسمها بجوافر فرسه عنزة وانفة وغيرة على جلالة منصبه وسلطانه وقوته اعني انه ضحى لذة الشهوة في سبيل لذه الرئاسة والعزة

ثم ان لذة العلم ارفع منهما (التغذية والغضب) واقوى لانها خاصة بالانسان دون غيره فالعلم لا يطلبه الا افراد قليلون ومن ذاقه عرف لذته ونهج سبيله وسهر ليله وكدح

نهاره في طلبه وقد انقطع لذلك كثير من الملوك والاكابر كما هو مسطر في التواريخ قال بعض العلماء لو عرف الملوك ما نحن فيه من اللذة لقاتلونا عليها بالسيوف وهذه الطائفة تعتبر نفسها اشرف من الملوك وارفع منهم قدراً

سئل ابن المبارك من الناس قال العلماء . ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصة التي بها يتميز الانسان عن سائر الحيوان هي العلم كما قدمنا فالانسان اشرف الحيوان بالعلم لا بقوه شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه فالقوه والعظم والشجاعة والاكل وغيره يفني بموته والعلم هو الباقي له بعد الفناء فبه يصير ملكا كريماً منعما في مقعد صدق عند مليك مقتدر يتلذذ بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حياً به ابداً فالناس موتى واهل العلم احياء

﴿ وجهة العالم واحدة ﴾

وهو النظام العام

من المقالات التي كان ينشرها المؤلف في جريدة الفلاح منذ ٢٠ سنة

اجل الفكر ايها الناظر وحدق البصر في هذه العوالم وخض معي في عباب هذا الموضوع لعلنا نجد على نار شوقنا نوراً للبحث والتنقيب في اسرار هذا العالم : فلننظر اولاً الى اشعة العلويات البراقة البيضاء الجميلة المناظر الحسنة الاشكال كيف ركّبت اشعتها من سبعة الوان اخضر واحمر واصفر وازرق وبنفسجي ونيلي وبرتقالي وكيف تعشقت هذه الالوان السبعة واتحدت وامتزجت وصارت لوناً واحداً وهو الابيض . ومن بدائع الاحكام وغرائب الاتقان والاختراع وجمال الصنعة ان هذا اللون اذا صادف جسماً شفافاً كالبلور وماء السحاب تفرق الى السبعة الالوان الزاهرة الزاهية الباهرة البهية البديعة العجيبة فترى العمود المضلع اذا عرض لضوء الشمس فرقه تفريقاً عجيباً وشوهد منظر

رائق يحير الناظرين ويدهش المعتبرين وهكذا قوس قزح اذ هو عبارة عن ضوء الشمس اذا قاربت الافق وضعفت حيث تشرق اشعتها على ما يحاذيها من الماء في جو السماء فيتحلل الضوء الى السبعة الالوان المذكورة فترى هيئة تأخذ بمجامع القلوب ذات اقواس منتظمة حسنة الشكل بهية المنظر قد طرزت السحاب بطراز الحسن وزينته بالبهاء وحسن الرواء والبهجة والجمال وما احسن ما قاله بعض ملوك بني العباس وهو مما لا يحضر الا الملوك :

وساقٍ صبيح للصبوح دعوته فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يدور بكاسات العقار كانجم فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً
على الجوّ كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر على اخضر في احمر تحت مبيض
كهيئة خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

ومن اغرب الغرائب وابدع البدائع ان الالوان التي نشاهدها من الخضرة والصفرة والحمرة وغير ذلك في عالم

الحيوان والانسان والنبات ليست حقيقية في انفسها وانما هي مكتسبة من الاضواء المشرقة عليها وذلك ان الله عز وجل وضع الاشياء مختلفة التركيب فكل مركب يقبل الخضرة مثلاً واشرق عليه النور رأيته اخضر وهو في الحقيقة ليس له لون خضرة ولا غيرها وانما هو اسود . فمن هذا نقول جميع النبات والحيوانات والمعادن لونها السواد في الواقع ونفس الامر فلون الخضرة مثلاً انما هو عبارة عن لون من الالوان المتعاشقة في الشمس لم يتشربه ذلك الجسيم وقد شرب ما عداه من تلك الالوان السبعة المتقدمة والاسود يتشرب جميع الالوان والابيض لا يتشرب شيئاً منها قط فتظهر عليه الالوان السبعة المتعشقة المعلومة

ولقد جربوا ذلك بان اتوا ببعض المواد التي اذا اشتعلت في النار كان لونها اصفر خالياً من لون الحمرة فاحرقوها في النار فاشرق ضوءها على طربوش احمر فرأوه اسود قاتماً فحكموا بان ذلك من كون الطربوش لونه هو السواد ولم تشرق عليه الحمرة التي لا يمكنه بحسب وضعه وطبعه ان

يتشربها فبقي على حاله من السواد . وهذا البحث بعيد التصور جداً على من لم يعتد المباحث الطبيعية . ولقد رأيت في كتاب المواقف ما يفيد هذا وهو ان الاشياء لا لون لها في انفسها وانما الوانها مقتبسة من انوار الشمس اذا اشرقت عليها فكل مركب قبل جميع الالوان وتشربها فهو الاسود وما قبل بعضاً دون بعض ظهر ما لم يقبله على صفحاته في الوجود وقد اثبته الحكماء المتأخرون في عصرنا الحاضر بالتجارب كما رأيت ومن ذلك تعلم ان اواخر الحكماء وافقت على ذلك اوائلهم . فيا للعجب كيف اختلف تركيب الاجسام اختلافاً كثيراً جداً حتى تباينت الوانها بحسب قابليتها للالوان الضوئية .

ولننظر الى النبات وحده فانهم اثبتوا ان فيه مادة ملونة فيا ليت شعري ما هذه المادة التي تنوعت في النباتات تنوعات تنبو عن الحصر والعد حتى اختص كل نبات بخضرة فهذا اعجب العجب ومن ذلك انك لا ترى ذا نفس نباتية او حيوانية او انسانية الا وله الوان مختلفة كأن تلك اللطيفة

الربانية لما اشرفت عليه اعطى استعداداً للترقيش والتزيين والتلون بالالوان المختلفة البديعة عند اشراق انوار النيرات وتوضيحه ان النبات مثلاً تجد ورقه اخضر وزهره احمر قانياً او اصفر فاقعاً او ابيض ناصعاً او اخضر او غير ذلك وثماره ذات الوان متنوعة كذلك وتجد الحيوانات المختلفة الالوان تخالف عيونها اجزاء بدنها ففيها البياض الناصع والسواد القاتم وغير ذلك وتجد الفرس مثلاً لها لون عام وغرة وتحجيل وسواد عين وبياضها ولون حافر وفي الحسان من نوع الانسان ما يدهش العقول من دعج العيون وشكلها ومن سوادها اللطيف وبياضها البراق وبياض الوجه واحمرار الخد وبريق الاسنان ولمعانها والحوة في الشفتين ولعسهما فانظر كيف رقش هذه الواليد وزينها ووشاها بهذه الزينة البديعة وجعلها من آياته الدالة على جماله وكماله وبهائه وقدرته حتى قال « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم » واختلاف الالوان من اعجب العجائب كما رأيت فانه كما حققه علماء الطبيعة لا لون للاجسام وكيف تعطي

الشمس عند اشراقها على الانسان مثلاً هذه الالوان المنقوشة نقشاً غريباً توقد النار في افئدة العشاق وتورثهم الهيام

واعلم ان من له قريحة وقادة يفهم من خوى هذه المعاني اللائحة في خلال هذه الاسطر انها رمز الى امر اجل واعلى وادقّ واحكم وهو قول العارفين والعلماء المحققين ان وجود الحق سبحانه وتعالى مشرق على العوالم كلها ليس دونه حجـاب وكل نفس لا تأخذ الا بحسب استعدادها وفطر طبيعتها . فكما ان الاجسام لا لون لها في نفسها وانما تأخذ الالون من ضوء الشمس عند اشراقها عليها على حسب استعدادها كذلك العوالم لا وجود لها في نفسها ولا كمال وانما تشرق عليها انوار الوجود والكمال من الحق سبحانه وتعالى وكما ان كل جسم له تركيب مخصوص يناسبه لون من الالوان على حسب قابليته كذلك الاشياء لها استعدادات للنقص والكمال والله عز وجل يفيض عليها على حسب استعدادها

ومن العجب ان الشمس واحدة وفعلها متضاد متنافر . ألا ترى انها تصلح الحيوان والنبات وتفسد صحة المحموم

وتبلي الجديد بحرارتها وتجمد الطين والبناء وتذيب الجليد والزبد وتفسد الجثث الميتة فكأن سر الحياة الساري في المواليد الثلاثة اخذ موثقاً على الشمس ان تكون معه يداً واحدة على اصلاح تلك الهياكل ما دام فيها فاذا غربت شمسه وارتحل عنها وظلمت تلك الاجسام قلبت شمس السماء له ظهر المجن واخذت تبعثر ما جمعته مع صديقها ايام اشراقها في سماء ذلك الهيكل العجيب فتتفرق اجزاؤه وتختل موازنته ويسود مبيضه ويبيض مسوده وتذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدار ·

ولقد اخذني الدهش عند كتابة هذه الاسطر من فعل الصانع الحكيم جل وعز واقتداره على ذلك التنويع المختلف في هذه الشمس التي هي واحدة وكأنها رمز الى انه وان كان واحداً فهو الضار النافع المحيي المميت المعز المذل الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اله الا هو اليه المصير ·

ولنرجع الى الموضوع فقد كاد الكلام يخرج عن

وجهته فنقول :

المقصود مما تقدم ان العوالم الارضية اذا اشرقت عليها الشمس اكسبتها جمالاً ورونقاً وبهاء . وبينا ترى هذه الالوان السبعة متعانقه متعاشقة نراها ايضاً متجهة الى مقصود واحد وهو الاصلاح العام وتزيين انواع الحي بالالوان البديعة مدخلة فيها حرارتها لتتحد مع الماء الذي ينزل من السماء على البسيطة ثم يترقى في فروع الاشجار وازهارها ومع العناصر الارضية ذات المقادير المختلفة . فكل هذه متعاشقات متحدات متعاونات على ايجاد النبات والحيوان ومعلوم ان الحرارة والماء والعناصر لا تحس ولا تعقل بل لو فرض حسها وعقلها فما تريد من هذا النبات والحيوان وما وجهتها في ذلك . فالبداهة ان الذي صنع ذلك غيرها لا هي في نفسها ولعلك تقول ما قلته ظاهر في الجماد اما الحيوان فافعاله اغلبها اختياري . فحركاته وسكناته صادرة عن ادراك وارادة وقدرة في نفسه وليس له محرك من خارج . فانظر في نفسك فانك ترى جميع افعالك صادرة عن علم فارادة فقدرة .

فهذه الجمادات اذا كان غيرها هو الفاعل فجعلها متحده على امر واحد كتعاشق الوان الشمس واتحادها وتعشق حرارتها مع العناصر والنار ليبرز النبات واخواه فافعال الانسان وان كانت جميعها متجهة للاصلاح فهي باختياره وعلى حسب علمه فالفاعل في الجمادات غيرها وفي الحيوان نفسه

اقول — انا اذا امعنا النظر في الحيوان وجدنا انه لا فرق بينه وبين النبات من هاتين الوجهتين معاً وهما الاتحاد والتعاون على النظام العام والاضطرار في جميع الحركات والسكنات (نعم للانسان جزء اختياري به يثاب وعليه يعاقب قد حققته فطاحل العلماء في محله ولسنا بصدده) فكل افعال الانسان والحيوان مخلوقة لله عز وجل فتأمل حتى يتبين لك انه الحق في نفسك وفي الآفاق وافعال كل ذي روح

وبيان ذلك ان افعال الحيوان تنحصر في الغذاء والتزاوج وتربية الاولاد وحماية الذمار ونشر العلوم . اما الغذاء فانا نرى كل حيوان مضطراً اليه بداعي الم في باطنه يصحبه شوق الى ما يزيل المه ويبل ظمأ شوقه بلا فرق

في ذلك بين الحيوان والانسان والعالم والجاهل والذكي والبليد وذلك ان الله عز وجل علم قصر همم الحيوانات ومعارفها عن ادراك العواقب فسافها قهراً الى الغذاء بهذا الداعي الذي تجده وقتاً فوقتاً وحيناً فحيناً لتأكل الغذاء فتعيش وهو مراده جل وعلا « فنحن يواد والحبيب يواد » فما اعجب هذه السياسة

وكما ساق الحيوان بالشوق والالم الى الغذاء ساقه الى التزاوج بمثل ذلك ايضاً فاراد الحيوان شهوته واراد ربك تسله . ولمثل ذلك قاتل الشجعان ورموا بانفسهم في حومة الميدان والقوا بايديهم الى التهلكة ليقال قاتل فلان وقتل وناضل فانتصر . فاراد حظ نفسه الوهمي الذي لا حقيقة له واراد الله امراً اعلى ومثالاً ارقى كحفظ الوطن وبقاء اهله الى اجل مسمى وهكذا الملوك يبيتون ويصبحون في شاغل الاحوال السياسة وحظهم وهم مجرد وحظ العالمين منهم محقق . ونرى كل حيوان وانسان متصفاً بصفة تقهره على اعمال البر والاحسان لنسميها مرحمة وعطفاً تقهره على تربية طفله ولو لم يرج منه فائدة ولا براً بل هذا هو الغالب اذ جميع الحيوان سوى الانسان

ليس محتاجاً الى ولده البتة ومتى انفصل واستغنى لا ينفع والديه بشيء اذ ليست هناك مدينة حتى يحتاج بعضها الى البعض وكثير من نوع الانسان يعرفون انه لا فائدة لهم في اولادهم اما لمرض مزمن جسمي او عقلي او شراسة اخلاق أدت الى التقاطع والتدابر ومع ذلك نراه يحسن اليه ويعطف عليه وكثير من الآباء يموتون قبل ان تبلغ ابناؤهم سن الرشد وقد تموت الابناء قبل سن الكسب

فمن هذا نعلم ان الرحمة التي أودعت في هذه الانواع سوط ساق الله عز به عباده الى نظام الكون وعمارته . وما احسن قول افصح الفصحاء واحكم الحكماء واعلم العلماء واجل الادباء السراج المنير سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال ما معناه : (ان لله عز وجلّ مائة رحمة فوضع منها رحمة واحدة في الارض بها يرحم الخلق بعضهم بعضاً حتى ان الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه وادخر تسعاً وتسعين الى عباده المؤمنين مع هذه الواحدة الى اليوم الاخر)

وقريب مما ذكرنا نشر العلماء لعلومهم وحبهم لذلك اذا ضعفت الهمم . فان حظوظهم النفسية مجرد خيال باطل ووهم فاسد وحظوظ الناس من اقوالهم محققة فقد ينتفع بعلومهم في حياتهم وبعد موتهم وتنتقل العلوم قرناً بعد قرن ومن ذهن الى ذهن فبالتأمل في اعمال هؤلاء نجدهم مسوقين لاعمال عظيمة وهم لا يعلمون ومسخرين لنظام الملك وهم لا يفقهون فشهواتهم مختلفة واسواط سوقهم متنوعة . ولكن اتجاههم واحد وان لم يشعروا . فكلٌّ اراد امراً اودعه الله عز وجل فيه سياسة منه وتدبيراً واراد ربك نظام ملكه :

يريد المرء ان يعطى مناه ويأبى الله الاّ ما ارادا

فترى انواع الحمام والطيور تربي اولادها لنفع الانسان وهكذا الفرس تربي ولدها ليركبه اذا بلغ اشده مالكها ولا حظ لها في ذلك والانسان يربي ولده ويعلمه وحظوظ الناس منه اكثر ونفعهم به اعظم

ومن العجب ان المحبة لا تزال تتجدد بين الولد والوالد

الى انقضاء اجلهما بخلاف الحيوان فان داعية العطف والرأفة لا تشاهد الا في اثناء احتياج الفصيل للناقة والفلو للفرس والجرو للكلبة وهكذا وانظر كيف دام في الانسان فانه كما قدمنا مدني بالطبع محتاج الى الاجتماع والوالد محتاج لولده زمن الشيخوخة فدام العطف بينهما لذلك النفع العظيم ويا سبحان الله انا نرى عطف الولد على والده في كبره اقل من عطف الوالد عليه في صغره . فكأن الولد لما ابرزته الحضرة الالهية ليدوم زمناً طويلاً جعل العطف عليه عظيماً ليسعى العاطف في ترقية شأنه وما به بقاء حياته الطويلة اما الولد فان الحضرة الالهية لما جعلته مستعداً للزوال والفناء والادبار وانقضاء الاجل والدثور جعل العطف عليه اقل ليناسب ما في القلوب والنفوس نظام الرب سبحانه وتعالى

وانظر كيف فرض للبنت النصف وللام السدس وقال « فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيماً » فقارن رحمك الله بين هذا الفرض وذلك الوضع العجيب من ضعف الرحمة وقوتها تعلم ان الله كان عليماً بجميع الاشياء حكيماً

في صنعها واتقانها فتبارك الله رب العالمين

فتبين من هذا كله ان مقصود الانسان والحيوان غير ما اريدت له افعالها فانظر كيف صرف الارادات لما يناسبها واراد ما به بقاء ملكه على احسن نظام يشير الى هذا قوله تعالى (ام للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى). أرأيت سياسة مثله صارت عفواً كلاً ثم كلاً . وانما هي سياسة ملك الملوك الذين نحوا نحوها في قهر العامة على الاعمال النافعة بسياط الرغبة تارة والرهبة اخرى كما قهر الحيوان على تناول الغذاء بضرب سياط شهوة وألم الجوع ثم ان اتجاه هذه العوالم الى غرض واحد يشير بطرف خفي الى وحدة الموجد سبحانه وتعالى حيث اتحدت ثمرتها ووجهتها

ومن هنا نفهم حقيقة ما صرح به علماء الشريعة وذوو الانظار الشريفة والآراء السامية من قولهم ان الفعل اذا لم يكن لله فلا ثواب فيه وصوّروا كونه له بأن يقصد في الغذاء مثلا التقوى على طاعة الله سبحانه وتعالى والمصلحة العامة لا الشهوة الفانية وفي الجماع العفة عن حرم الغير الداعي

الى خلل النظام واسترواع النفس المعين لها على تكميلها وان يرزق بولد مثلا وفي الشجاعة ان يقصد حماية الدين والوطن لا ان يقال فلان شجاع ولذلك كثيراً ما نددوا على العلماء الذين يطلبون الدنيا بالدين فلا ثواب لهم الا اذا قصدوا به وجهة الخالق . فالحمد لله الذي اظهر لنا بعين البصيرة والتحقيق ذلك المعنى من النظر في الصنعة الالهية كما علمناه في الاحكام الشرعية فعلمنا ان كل من قصر نظره على الشهوات السافلة التي سيقت بها الحيوانات فهو منهم اولئك كالانعام بل هم اضل من الانعام التي لا استعداد عندها الى الامور العالية بخلاف الانسان فانه لا يقصد ذلك الا اذا سفلت نفسه وصغرت همته وهم اغلب نوع الانسان ومن هنا نفهم قوله عز وجل « وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم »

ارشدنا الله بفضله الى هذه المقاصد العالية وجعلنا من ذوي النفوس السامية انه جواد كريم رؤف رحيم

« قطع شعرية للمؤلف »

١

« من شعر تراش الشاعر الانكليزي »
عربها لتلاميذ مدرسة راس التين الاميرية سنة ١٩١٥

قوم صفت الدنيا لهم وسماؤهم صحو عجبُ
فيها شمسٌ وبها قمرٌ لم تحجبهم عنها الحجب
فاذا ما اغبر بافقهم مقدار الظفر له غضبوا

***

وفريق عاش ودهرهم ليل فيه السود الذوب
فاذا لمحوا من بارقةٍ فرحوا جذلا وبهم طرب
هذا مثل فيه عظةٌ لذوى التوفيق اذا ضربوا

***

فانظر زمرا سكنوا مصرا وبنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نِعم فيها نَعم فاذا راحت فلها لجَب
يشكون الدهر وما نصبوا ان شاكهمو وبرٌ صخبوا
فكان الفضل بما طلبوا بما من عليهم حربُ[1]
وكان المال جهنمهم وثراء المال لهم عطب

***

وترى رهطا سكنوا الاكوا خ فذا شعر هذا قصب

(١) الجرب ـ سلب المال

وحياتهم في مخمصة ومعيشتهم ابدا وصب[1]
حمدوا الرحمن على نعم وبه فرحوا وله انتسبوا
فكانهم لما سُلبوا ما اعطاهم منه كسبوا
فالحب كساهم من حُلل وبكأس سعادته شربوا

Some murmur when their sky is clear
And wholly bright to view,
If one small speck of dark appear
In their great heaven of blue,
And some with thankful love are fill'd
If but one streak of light,
One ray of god's good mercy gild
The darkness of their night,
In palaces are hearts that ask,
In discontent and pride,
Why life is such a dreary task,
And all good things denied,
And hearts in poorest huts admire
How love has in their aid
Love that not ever seems to tire
Such rich provision made.

(١) الوصب المرض

٢

من نظم شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور
عربها لتلاميذ مدرسة رأس الثين الاميرية سنة ١٩١٥

اذا كان هذا الكون بكلوه الذي ... براه فاولاه الجمال وتمما
فماذا يراه عاقل غير انه ... قصور جنان الخلد رصعن انجما

All places that the eye of Heaven Visits
Are to the wise man ports and hpapy havens.

٣

عربها سنة ١٩٠٦

اضيء يا ايها النجم الصغير ... فشأنك في غرابته كبير
وفوق رءوسنا ابدا تسير ... كمثل الماس رصع في السماء
اذا ما الشمس غابت في دجاها ... ويل الثبت في الدنيا نداها
ترينا الضوء يلمع في رباها ... اضيء يا نجم في غسق الدجاء
ظهرت بوكب وسط السماء ... وتزجى النور منك على البناء
بناظرك المصوغ من السناء ... فلا تخبو بغير صنا ذكاء
تضيء الارض من اعلى سماها ... وتهدي من يسافر في فلاها
فماذا انت يا باهي صناها ... اضيء فالله خصك بالضياء

« Twinkle, Twinkle, Little Star. »

Twinkle, Twinkle, little star,
How Iwonder what you are:
Up above the world so high,
Like a diamond in thek shy,
When the glorioussm is set,
When the plant with due is wet,
Then you show your little light,
Twinkle, twinkle, all the night.
In the dark blue sky you keep,
And often through my curtains peep.
For you never shut your eye
Till the sun is in the sky.
As your bright and tiny spark
Lights the traveller in the dark,
Though know not what you are,
Twinkle, twinkle, little star.

٤ الرحمة

من شعر شكسبير الانجليزي

عربها لتلاميذ مدرسة رأس التين سنة ١٩١٥

من الناس من تلقاه يعطف خدعة ولا يبذل المعروف الا لظالم
الا انما هذى السجايا مواهب واوسعها في الخلق رحمة راحم
الم ترَ ان الارض تهتز بهجة اذا ما كساها الحسن ودق الغمائم

وان لبس موهوب باوفر مغنما من الواهب الالاف عند العظائم
فاجلل بها من ذى جلال ومنصب ومن ملك في الارض سامي الدعائم
فقل لذوي التيجان فيها تبوؤا عروش القلوب لا عروش القوائم
فلا يغرنن رب الاريكة ملكه ولا الجحفل الجرار وسط الملاحم
وهل يستوي يوما سراب بقيعة ورحمة مزن في الربى والتهائم
لعمرك ما ذكر المليك ببطشه ولكن صدى صوت الندى والمكارم
فاحر برب الصولجان خليقة بها احسن الرحمن صنع العوالم
وخير سجايا الناس اخلاق ربهم واولى بها من ساس امر ابن ادم

The Quality of Mercy,

The quality of mercy is not strained;
It droppeth as the gentle rain from heaven
upon the place beneath : It is twice blest;
It blesseth him that gives and him that takes;
Tis mightiest in the mightiest : It becomes
the thronéd monarch better than his crown;
His sceptre shows the force of temporal power,
The attribute to awe and majesty,
Wherein doth sit the dread and fear of kings;
But mercy is above this sceptred sway,
It is enthronèd in the hearts of kings,
It is an attribute to God Himself;
And earthly power doth then show likest God's
When mercy seasons justice

﴿ زهرة قزالية والنحلة ﴾

نظمها لطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

حين رأى الزهرة المذكورة بحديقة المدرسة سنة ١٩١١

عجبت لنقش الزهر كيف تنوعت ... بدائعه فيما يسمى قزاليه
محكمة الزوجين فيها غرائب ... مدورة الصفين بالنظم حاليه
تقوش بديعات تريك دوائرا ... بها نضرات بالمحاسن باهيه
دوائر بيضا فوق سودا كانها ... نجوم سماء بالعشيات زاهيه
وترنو الى الشمس المنيرة بالضحى ... وتغمض عيناً بالاصائل ساهيه
تقول وقد تاهت بفرط جمالها ... من الشفق الغربي صبغ جماليه
فما لرجال العلم عني اعرضوا ... ومفتاح عقل العالمين ببابيه
وما لكم لا تفقهون محاسني ... وقد ادرك الاعلام سر طباعيه
ثغور ابتسام في جمال وبهجة ... واسداء معروف لراجي عطائيه
وكم حشرات طاف طائف وفدها ... فكان قراها الشهد في سوح داريه

﴿ رثاء الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ﴾

« نقلاً من المراثي المدرجة في كتاب رثائه للشيخ رشيد رضا »

أماني طاشت في المهامة والقفر وارزاء بؤس مرسلات على مصر
خلل عراها واستبان صفارها وراح الاولى شادوا المعالي كالقصر
فما ثاكلات كللت بقتادها بوائس من ام شفيق ومن ظئر
اذا ما رأين الطير في وكناتها شجون على المقبور في بلد صفر
يجاوبنها تجواب يأس وحسرة يتابعن بالآلام يهطلن كالقطر
بأبأس من مصر لفقد محمد وهل ينفع المفئود ادوية الصبر
سواك بكته الباكيات وقد بكت عليك رجال الدين والعلم والعصر
وكانت تلام النادبات لنعشها ولولاه لم تحسب من الانجم الزهر
الم ترَ ان النعش فوق رءوسنا نجوم عليها القطب في فلك يجرى
ولولا التقى والدين قلت تفزعت لمصرعه الافلاك والكوكب الدري
وثابت ذوؤابات الدراري في الدجى
فتندبه الشعرى وتلطم بالنسر
جوامذ ان لم تذرف الدمع اعين عليك الا ان الجوامد في خسر

خليلي اما شمتما بالمزن ليلة تروح وتغدو هاطلات على النهر
فقولا لها يمن قبر محمد واسقينه سقى النعيم الى الحشر
فديتك قل لي هل نزلت من السماء لنا ملكاً اخي البشائر بالنذر
تهيمن اوقافاً وتنشي مدارساً وتكفل ايتاماً وتبذل بالبشر
ومصبية مصرية قد عهدتها بكتك بجنح الليل اومطلع الفجر
وشاعر افاق ومفت مثقف ومغتبط التأليف والرجل المثري
ومجلس شورانا وقاضي ديارنا وواعظ اخرانا ومصطنع البر
وانت لهم روح وانت لهم نهى وانت لهم نور لموهبة الفكر
الا يا لحى الله المنايا فانها ترد الاماني البيض سودا على الاثر
وكان مرجى في الحياة فذ مضى ذهبت اناجي الروح في روضة القبر
فيا قبر هذا عالم وسع الورى فكيف وسعت الملك في مأزق الشبر
ويا قبر هذا البحر يبدي عجائباً ولم ارَ بحرا قبل في مهجة السر
ويا قبر هذا عالم الشرق كله أأفتاك ان تختص بالعالم الحبر
ويا قبر هذا صفحة الكون كله فكيف كتبت اللوح اجمع في سطر
هنالك لاحت نحو سري نفحة وايات عرفان ووحى الى السر
الا يا نجى اليوم شانك والعلى وسابق لنشر العلم في السر والجهر

ولا تيئسن يوما بكارثة ولو ... فرتك الاعادى بالمثقفة السمر
فدونك هذا الموت راحة عالم ... مضى نصبا في سعيه امد العمر
وما هذه الدنيا سوى البرق لامعا ... فهذا به يلهو وذا رائد القطر
وما هذه الدنياسوى الروض يانعا ... واثماره حسن الاحاديث والذكر
وقل لبنى الدنيا سلام عليكم ... سلام اب في كل صالحه بر
وقل لهم قوموا لنشر فضيلة ... وترقية الابناء بالعلم والصبر
فاني رأيت المجد عندكم به ... وعند بني الأخرى لدى عالم النشر
وقل لبنى مصر سلام عليكم ... وسلم على اهل المعارف في مصر
وقل لهم انى نشطت من العنا ... وكنت على امر فدوموا على امرى
فقلنا قبلنا النصح فاقبل تحيه ... وعش رغدا في جنة امد الدهر

﴿ تقريظ كتاب في علم التاريخ ﴾

« تعريب عبد الحميد افندي فهمي ضابط بمدرسة الناصرية »

كتابك يا عبد الحميد مهذب ... رقيق الحواشي طيب العرف والنشر
عروس جلاها الغرب للشرق فارتأت ... تهادى له في زينة الحلل الخضر
نهجت به نهج المجدين فانمحت ... به وصمة في جبهة الادب المصرى
ومن لم يبت يسرى على العيس للعلا ... قلته ووات عنه راغبة تسري
ومن لم يكن للفرقدين طلابه ... فأربته عيش الفراقد في القفر
ولا عيب فيه غير ان سهامه ... تجندل ضلالا بأسلافنا الغر
وكم راح اقوام الى الغرب فانثنوا ... فمضطلع بالوزر او قائل الهجر
وآخر كفار لينبه قدره ... ويذكر بين الناس بالرجل الحر
فاطلعت شمسا اشرقت فتبددت ... غيوم عن التاريخ في سالف العصر
وجاءت كما تهوى المعالى وابتغت ... اماليد دوح كللت غرر الدر

فهرس

صفحة

٢ الحكمة والحكماء

٥ ميزان الامم في الجسم والعقل

٥ اقسام الحكماء

٧ كيف يتوق الناشئون للحكم و يعشقون الفضيلة

٩ نموذج محاورة بين الراشدين العاقلين

١٣ الشائق الثاني

١٧ شائق القرآن

٢٠ نبذة من حكم الحكماء

٢٠ حكم سولون

٢١ حكم هوميرس

٢١ حكم ارسطوطاليس

٢٢ حكم بيون

٢٢ حكم ديوجينس الكلبي
٢٤ حكماء الهند
٣٠ تمثيل الدنيا بالشطرنج
٣٣ اهم اسباب انحطاط الهند الخ
٣٣ محاورة عجيبة بين الاسكندر وحكماء الهند
٤٥ حكماء اليونان وتأثير حكمتهم الخ
٥١ وصية لقمان
٥٢ التفسير
٥٨ المقارنة بين فلسفة الشرق والغرب وفلاسفتها
٦٢ تعريب تقريظ الجمعية الاسيوية الفرنساوية لكتاب نظام العالم والامم
٧٣ كلمة عن كتاب « التاج المرصع »
٧٤ مقالة ما المقصود من هذا العالم
٨٦ وجهة العالم واحدة الخ
١٠١ قطع شعرية معربة عن الانجليزية لكبار شعرائها
١٠٧ قصائد شعرية للمؤلف

بالكتاب الانسانية الموصلة الى السعادة التي أعانه الله على استنباطها
الحتى يعد حاوياً لنوعها وحامياً على معناها ومراعياً لخصائصها فقد
كاد أو قد كان قولنا الانسان لفظاً مطلقاً على معنى غير موجود
واسماً لحيوان غير مشهود كسنتاء مغرب ونحو ذلك من الاسماء التي
لا معانى لها كما قال تعالى في صفة الاصنام السماة آلهة «ان هي إلا
أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان» وقال
جل جلاله «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها» فجعلها أسماء
بلا مسمى ولم أعن بالانسان كل حيوان منتصب القامة عريض
الظفر أملس البشرة ضاحك الوجه ممن نطقوا ولكن عى الهوى
ويتعامون ولكن مايسرهم ولا ينفعهم ويظلمون ولكن ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ويكتبون الكتاب
بأيديهم ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق ويؤمنون ولكن
والطاغوت ويعبدون ولكن من دون الله مايضرهم
ويبيتون ولكن بالأرض من القول ويأتون
كسالى ولا ينفقون إلا وهم
على

الذين هم عن صلاتهم ساهون . ويذكرون ولكن اذا ذُكِّروا لا يذكرون . ويدعون ولكن مع الله إلهاً آخر . وينفقون ولكن لا ينفقون الاَّ وهم كارهون ويحكُمون ولكن حكم الجاهلية يبغون . ويخلقون ولكن يخلقون افكا . فهؤلاء وان كانوا بالصورة المحسوسة ناساً فهم بالصورة المعقولة لاناس ولا نسناس كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه . يا أشباه الرجال ولا رجال بل هم من الإنس المذكور في قوله تعالى « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زُخرفَ القولِ غرُورا » وما أرى البحتريَّ اذا اعتبر جلُّ الناس بالخُلق لا الخَلق مبعداً في قوله

لم يبق من جلِّ هذا الناس باقيةٌ يناالها الوهمُ الاَّ هذه الصورُ

ولا من يقول

فجلُّهمُ اذا فكَّرتَ فيهم حميرٌ أو كلابٌ أو ذئاب

ولا تحسبنَّ هذه الابيات أقوالا شعرية واطلاقات مجازية فان

٨٦ لي يقول « أم تحسبُ أن أكثرَهم يسمعون أو يعقلون ان هم

١٠١ الاَّ كالانعام بل هم أضلُّ سبيلا » وقد أنبأتُ في هذه الرسالة عن

١٠٧ قصائد ت ومكان الانسان منها ومبدأها ومنشأها ومنتهاها

وماجُعل له من السعادة فى الدارين باكتساب الانسانيـة وكيفية التطرق اليها وابتدأتُ بالتنبيه على وجوب معرفة الانسان ذاته فمن علم أن شيئاما هو مما يجب أن يُعلَم فانه وان لم يعلمه فقد يحصـل له بذلك علمٌ . فمن العلم ان تعلم أنك لاتعلم وعلم الانسان بجهله أحـد العلمين * قال ابن عباس رضى الله عنه . من لم يجد مسّ نقص الجهل فى عقله وذلّ المعصية فى قلبه ولم يستبن الخلّة فى لسانه عند كلال حدّه عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن دنيّة ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكترث لفصل مابين حجة وشبهة * وبقدر معرفة منفعة الشئ يحرص الانسان على طلبه ويصـبر على تحمل المشـقة فى تحصـيله ولذلك قال الله تعالى فى صفة من جهل نفع مطلوبه (وكيف تصبر على مالم تحط به خُبرا) فاعرف أيها الفاضل فضيلة الانسانية وماأعدّ من الفـلاح لمن تزكّى كما قال تعالى (قد أفلح من زكّاها) فانها هى المكارم لا قعبان.[1] من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

ولا يتكادَنّكَ[2] بُعد الشقة وفعل من يُروقك طاقه ورواقه

(١) مثنى قعب وهو القدح الضخم (٢) تكادنى الامر يشـق على كتكاءدنى

فان جاوزت كسوته اليه فليس بعابد ولو (١) قرية بل لا تراه الا عبدا لحجر أو مدر أو بهيمة أو خشبة كمن ذمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فانك في عنفوان شبابك ولدونة أغصانك

واعلم انه ليس يحسن بذي همة قد أحسن الله اليه في خلقه وخلقه وقيض له من رياه فاحسن تربيته وأزاح في معاونته بعد بلوغه غايته أن يرضى بأن يكون حيوانا وقد أمكنه أن يصير انسانا أو بأن يكون انسانا وقد أمكنه أن يصير ملكا أو بأن يكون ملكا وقد أمكنه أن يصير ملكا في نعمة صدق عند مليك مقتدر تقوم الملائكة بخدمته كما قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقد قال الله لذلك ولا جعلنا من الكسالى المعوقين بقوله تعالى (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) جعلنا الله وإياك من المؤمنين الموفقين بقوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة

(١) عادان جزيرة أحاط بها شعبا دجلة ساكنين في بحر فارس

فى قلوب المؤمنين بقوله (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) حتى لاتغتر بما هو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

تراجم أبواب الكتاب

وهى ثلاثة وثلاثون بابا

١ ا فى معرفة الانسان نفسه
٢ ب فى اجناس الموجودات ووضع الانسان منها
٣ ج فى العناصر التى منها أوجد الانسان
٤ د فى قوة الاشياء التى جعلت فى الانسان
٥ ه فى تكوين الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا
٦ و فى قوى الانسان وشعاره فى الموجودات وتخصصه بقوة شبيهة بها
٧ ز فى ماهية النفس
٨ ح فى كون الانسان مشتملا على العالمين
٩ ط فى تمثيل ذات الانسان وتصويره
١٠ ى فى كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله

١١ يا في الغرض الذي من أجله أوجد الانسان ومنازلهم
١٢ يب في تفاوت الناس واختلافهم
١٣ يج في سبب تفاوت الناس
١٤ يد في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
١٥ يه في هداية الاشياء الى مصالحها
١٦ يو في سعادة الانسان ونزوعه اليها
١٧ يز في حال الانسان في دنياه وما يحتاج أن يتزود منها
١٨ يح في تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما الى الآخر
١٩ يط في فضيلة الشرع
٢٠ ك في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان
٢١ كا في ما يتعلق به الشرع من الافعال
٢٢ كب في تحقيق العبادة
٢٣ كج في أنواع العبادة من العلم والعمل
٢٤ كد في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
٢٥ كه في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع

٢٦ كو في القوى التي تجب ازالة أمراضها وأنجادها والمعاني التي تحصل بذلك

٢٧ كز في كون الانسان منظورا على اصلاح النفس

٢٨ كح في سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة

٢٩ كط في أحوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها

٣٠ ل في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر

٣١ لا في قدر مافي الوسع من اكتساب السعادة

٣٢ لب في اثبات المعاد وفضيلة الموت ومايحصل له بعده

٣٣ لج في فضيلة الانسان اذا شرف على الملك

الباب الاول

في معرفة الانسان نفسه

قالت الحكماء مرةً . أول مايلزم الانسان معرفته نفسه وقالوا مرةً . أول مايلزمه معرفة الله تعالى . وليس بين هذين القولين منافاة فانهم عنوا بالأول حيث قالوا معرفة النفس الاول

من حيث الترتيب الصناعي وعنوا (بالاول أيضا) حيث قالوا معرفة الله الاول من حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي أفضل المعارف . وفي معرفة النفس اطلاع على أمور كثيرة

أحدها . انه بواسطتها يتوصل الانسان الي معرفة غيرها ومن جهلها جهل كل ماعداها

والثاني . ان نفس الانسان مجمع الموجودات كما تبين بعد فمن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله تعالى (أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) تنبيها على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا بها حقيقة السموات والارضين ولما أنكروا البعث الذى هو لقاء ربهم قال الله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقال (وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

والثالث ان من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفه بما رفي حكم المشاهد لله تعالى وهو يخلق السموات والارض ولم يكن.

كالكثرة الجهلة الذين أشكلتهم [١] هذه المنزلة فقال فيهم (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا)

والرابع . انه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحانى وبقاءه وبمعرفة جسده العالم الجسدانى وفناءه فيعرف خسة الفانيات وشرف الباقيات الصالحات

والخامس . ان من عرف نفسه عرف أعداءه الكامنة فيها المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم . أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك فيستعيذ منها . كما قال عليه الصلاة والسلام . اللهم الهمنى رشدي وأعذنى من شر نفسى . وقال . لاتكلني الى نفسى طرفة عين فأهلك . ومن عرف أعداءه الكامنة ومكامنها وكيفية انبعاثها أحسن أن يحترز منها وأن يجاهدها فيستحق ماوعد الله به المجاهدين فى سبيله ومن لم يعرفها فجدير أن يتراءى له عدوه الذى هو الهوى بصورة العقل فيتصور له الباطل بصورة الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم . الهوى شيطان بل قال هو إله يعبد من

(١) اشكلن المرأة التي فقدت ولدها وأشكلها الله بعلها أثكلى

دون الله . وقد روى انه قال صلى الله عليه وسلم . ما عُبد فى الارض إلهٌ أبغضُ الى الله من الهوى ثم تلا (أفرأيتَ من اتخذَ إلهَهُ هواهُ)

والسادس . ان من عرف نفسه عرف أن يسوسها ومن أحسن أن يسوس نفسه أحسن أن يسوس العالم فيصير من خلفاء الله المذكورين فى قوله تعالى (ويستخلفكم فى الارض) ومن الملوك المذكورين فى قوله تعالى (وجعلكم ملوكا)

والسابع . ان من عرفها لم يجد عيبا فى أحد الا رآه موجودًا فى ذاته اما ظاهرا منبعثاً أو كامناً فيه ككمون النار فى الحجر فلا يكون همَّازًا ولمَّازًا وعيَّاباً فان كل عيب تراءى له من غيره وجده فى نفسه ومن رأى عيب نفسه فجدير أن يكون ممن دعا له النبىّ صلى الله عليه وسلم بقوله . رحم الله امرءًا شغله عيبه عن عيوب غيره * ومعرفة عيب النفس صعب من حيث ان كل انسان يحب نفسه وحبه لها يعميه عن معايبها كما قال صلى الله عليه وسلم : حبك الشىء يعمى ويصم * والأعمى والأصم عن عيب الشىء قد يعجب به . ولا ضرر أعظم من إعجاب المرء بنفسه وقد قال بعض الحكماء

الكاذب فى نهاية البعد عن الحق والمرائى اسوأ حالاً من الكاذب لأن الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائى يكذب بقوله وفعله . قال . واسوأ حالاً منهما المعجب بنفسه لأن الكاذب والمرائى قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه بوجه ولأنهما قد ينتفع وينجع وعظك فيهما لعلمهما بنفسيهما . والمعجب بنفسه لجهله يضلك فى وعظك اياه فلغيا

والثامن . ان من عرف نفسه فقد عرف الله تعالى فقد روى انه ما أنزل الله من كتاب الا وفيه . اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وهذا معنى قوله تعالى «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم» الآية * وفى هذا الخبر ثلاث تأويلات . أحدها ان معرفة النفس يتوصل الى معرفة الله عز وجل كقولك اعرف العربية تعرف الفقه أى معرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه وان كان بينهما وسائط والثانى . انه اذا حصل معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله بلا فاصل كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء فيكون الضوء مقترناً بطلوعها غير متأخر عنها بزمان والثالث . ان معرفة الله تعالى ليست تثبت الا أن تعرف النفس لانك اذا عرفتها على الحقيقة فقد

عرفت العالم فاذا عرفت العالم عرفت انه محدَث وان لابد له من محدِث لايشبهه المحدَث بوجه وذلك هو غاية معرفة الله تعالى . قالوا وعلى هذا دل معنى قول أمير المؤمنين كرّم الله وجهه . ان العقل لاقامة رسم العبودية لالإدراك الربوبية ثم أنشأ يقول

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدئاً فكيف يدركه مستحدَث النسم

وقال أيضاً

العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات السر اشراك
وفي سرائر همّات الورى همم عن ذا الذي عجزت جنٌّ واملاك
يهدى اليه الذي منه اليه هدى مستدركاً وولىُّ الله مدراك

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه . يامن غاية معرفته القصورُ عن معرفته . وقال الله تعالى «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» تنبيها على انهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دلّ جهلهم اياه على جهلهم اياها

الباب الثاني

(في ذكر أجناس الموجودات وموضع الانسان منها)

اعلم ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذي لا سبب لوجوده بل هو سبب كل موجود وكل موجود فمنه وبه تعالي وجوده والموجودات ضربان المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية وايجاده تعالى للمعقولات العلوية قبل ايجاده للمحسوسات السفلية كما روي انه أول ماخلق الله تعالى القلم ثم اللوح وقال أجر بما هو كائن الى يوم القيامة وروي انه أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال بعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي ولك الثواب وعليك العقاب * وليس المراد بالعقل ههنا العقول البشرية بل الاشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية وقال قوم العقل ههنا عبارة عن القلم المذكور في الخبر الآخر والله أعلم

ثم أوجد الله تعالى الروحانيات الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وايجاد هذه الاشياء على سبيل الابداع والابداع هو ايجاد الشيء لا عن شيء موجود من قبل ثم خلق الاركان الاربعة

والجمادات والنباتات والحيوانات وختم بالصورة الانسانية كما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله خلق الله تعالى يوم الاحد كذا ويوم الاثنين كذا الى أن قال وخلق الانسان يوم الجمعة آخر النهار والخلق في أكثر الاحوال يقال في ايجاد الشيء من الشيء قبله كخلق الانسان من التراب ويقتضي تركيبا ولذلك قال الله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) والى الاشياء المركبة أشار بقوله تعالى (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) واعلم ان كل شيء من المبدعات فتام لا نقص فيه ولو كان فيه نقص لدل ذلك على نقصان مبدعه وصانعه فأما المخلوق الذي هو مركب من شيء فقد يحتمل أن يكون فيه نقص ويكون نقصه عارضا من جهة ما تركب منه لا من جهة مركبه وفاعله فلهذا صارت المبدعات من الاشياء العلوية معراة عن اعتراض الفساد فيها حالا فحالا بل تبقى على حالتها الى أن يشاء الله تعالى أن يرفع العالم

والانسان انسانان أحدهما آدم الذي هو أبو البشر ويجري هو من سائر الناس مجرى البذر الذي منه انشيء غيره والباري تعالى قد تولى بنفسه ايجاده وتربيته وتعليمه كما نبه عليه بقوله تعالى

(مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وقوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) والثانى بنوه وموجدهم ايضا البارئ تعالى ولكن جعل انشاءهم وتربيتهم وتعليمهم جسمانية وروحانية فالجسمانى كالأبوين والروحانى كالملائكة المدبرات والمقسمات الذين يتولون انشاءه وتربيته كما روى فى الخبر الولد يكون اربعين يوما نطفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة ثم يبعث الله ملكا فينفخ فيه الروح الى غير ذلك من الاخبار . ولكون الابوين سببا فى وجود الولد عظم الله تعالى حقهما والزم بعد شكره شكرهما فقال (اشكر لى ولوالديك) ويسمى الولد ابنا وهو مشتق من بنيت البنية تنبيها على انه جار للاب مجرى البناء للبانى

الباب الثالث

(فى ذكر العناصر التى منها أوجد الانسان)

ذكر الله تعالى العناصر التى خلق منها آدم عليه السلام ونبه على انه جعله انسانا فى سبع درجات . واشار الى ذلك فى مواضع مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة فقال فى موضع خلقه من تراب اشارة الى

المبدأ الاول . وفى آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء . وفى آخر من حمإ مسنون اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير . وفى آخر من طين لازب اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة . وفى آخر من صلصال من حمإ مسنون اشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه وفى آخر من صلصال كالفخار . وهو الذى قد أصلح بأثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل فى الانسان أثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى دل بقوله (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجانّ من مارج من نار) فنبه على ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما فى الفخار من أثر النار وان الشيطان ذاته من المارج الذى لا استقرار له . ثم نبه الله على تكميل الانسان بنفخ الروح فيه فقال (انى خالق بشرًا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى . ثم دل على تكميل نفسه بالعلوم والاداب بقوله تعالى (وعلّم آدم الاسماء كلّها) ثم ذكر خلق بني آدم وعناصرهم التى أوجدها حالة بعد حالة فنبه على انه جعلهم اناسا فى سبع درجات حسب ما جعل آدم عليه السلام فقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم

جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر) اشار به الى ما جعل له من قوة العقل والفكر والنطق . فان قيل فلم قال فكسونا العظام لحماً ولم يقل فخلقنا منه لحماً كما قال فى الاول . قيل اشارة منه تعالى الى لطيفة من صنعه وهو ان النطفة انتهت الى صورة العظم ثم انشأ الله اللحم انشاءً آخر لا من النطفة واجراها مجرى الكسوة التي قد يخلعها الانسان ويجددها ولذلك اذا قطع من الحيوان لحمٌ عاد ولم يكن كالعظم الذى لا يعود بعد قطعه * فان قيل كيف حكم على جميع الناس انه خلقهم من سلالة من طين والمخلوق منها هو آدم دون أولاده . قيل ان ذلك على وجهين احدهما انه لما خلق آدم من سلالة من طين فاولاده الذين منه هم أيضا منها . والثانى ان الانسان يتكوّن من النطفة ويتربى بدم الطمث [1] وهما يتكوّنان من الغذاء والغذاء يتكوّن من الحيوان والحيوان من النبات والنبات من سلالة من طين فاذاً الانسان على الحقيقة من سلالة من طين وعلى هذا نبّه الله تعالى بقوله (انا صببنا الماء

(١) الطمث الحيض

صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضباً . وقوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) وقوله (خلقكم من تراب ثم من نطفة) فجعله الله تعالى من تراب على هذا الوجه وقال (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) وفى آخر (خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . وعني بالانسان ههنا آدم ولذلك قال ثم جعل نسله . فاقتصر ههنا على النطفة دون المبدأ الاول الذى هو التراب . وانما ذكر هذه المبادى متفرقة لحكمة اقتضت تخصيص ذكرها فى موضعها الذى ذكرها فيه وليس شرح تخصيص ذكر كل واحد من ذلك فى موضعه مما يليق بهذا الكتاب

الباب الرابع

(فى ذكر قوى الاشياء التى جمعت فى الانسان)

الانسان قد جمع فيه قوى العالم وأوجد بعد وجود الاشياء التي جمعت فيه وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله (الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم الذى تقدم

ذكره . وقد جمع الله تعالى فى الانسان قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوّناته . فالانسان من حيث انه بوساطة العالم حصل ومن اركانه وقواه أوجده العالم . ومن حيث انه صغّر شكله وجمع فيه قواه كالمختصر من الكتاب هو الذي قلّل لفظه وأستوفى معناه . والانسان هكذا هو اذا اعتبر بالعالم ومن حيث انه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزُبد من المخيض والدهن من السمسم فما من شيء الا والانسان يشبهه من وجه فانه كالاركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وكالمعادن من حيث ما هو جسم . وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى . وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم . وكالسبع من حيث ما يحرض [1] ويغضب . وكالشيطان من حيث ما يُغوى ويُضل . وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده ويخلفه . وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التى كتبها فيه على سبيل الاختصار . فقد ذكر بعض الحكماء فى بدن الانسان أربعة الاف حكمة وفى نفسه قريباً من ذلك . وكالقلم من

(١) حرض ككرم طال همه وسقمه

حيث ما يثبت بكلامه صور الاشياء فى قلوب الناس كما ان القلم يثبت الحكم فى اللوح المحفوظ * ولكون الانسان من قوى مختلفة قال الله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج) أى مختلطة من قوى اشياء مختلفة . ولكون العالم والانسان متشابهين اذا اعتبرا قيل الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الاّ كنفس واحدة) فاشار بالنفس الواحدة الي ذات العالم . ولما كان كل مركب من اشياء مختلفة يحصل باجتماعهنّ معنى ليس بموجود فيهن على انفرادهنّ كالمركبات من الادوية والاطعمة كذلك فى نفس الانسان حصل معنى ليس فى شىء من موجودات العالم وذلك المعنى هو ما يختص به من خصائصه التى بها تميز عن غيره من هيآت له كانتصاب القامة وعرض الظُّفر وانفعالات له كالضحك والحياء وافعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الاخلاق

الباب الخامس

فى تكوين الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا

الانسان يكون أولا جماد اميتا قال الله تعالى (وكنتم امواتا

فأحياكم) وذلك حيث كان ترابا وطينا وصلصالا ونحوها . ثم يصير نباتا ناميا كما قال الله تعالى (والله انبتكم من الارض نباتا) وذلك حيث ما كان نطفة وعلقة ومضغة ونحوها . ثم يصير حيوانا وذلك حيث ما يتبع بطبعه بعض ما ينفعه ويحترز من بعض ما يضره . ثم يصير انسانا مختصا بالافعال الانسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك فى مواضع نحو قوله (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) الآية . وقوله (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) فأول ما يظهر فيه قوة النزاع الموجودة فى النبات والحيوان ثم قوة تناول الموافق ودفع المخالف ثم الحس ثم التخيل ثم التصور ثم التفكر ثم العقل فهو لم يصر انسانا الا بالفكر والعقل الذى به يميز بين الخير والشر والجميل والقبيح . والى العقل اشار الله تعالى بقوله (وصوركم فأحسن صوركم) فالانسان بفعله صار معدن العلم ومركز الحكمة ووجود العقل فيه فى ابتداء الامر بالقوة كوجود النار فى الحجر المحتاج فى ان يري [1] الى الاقتداح وكوجود النخل فى النوي المحتاجة فى ان تثمر الي غرس وسقى .

(١) من وري الزند اخرجت ناره .

وكوجود الماء تحت الارض المحتاجة فى الاستقاء منه الى حفره * ونفس الانسان واقعة بين قوتين قوة الشهوة وقوة العقل . فبقوة الشهوة يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والسفاد والتغالب وسائر اللذات العاجلة . وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والافعال الجميلة والامور المحمودة العاقبة . والى هاتين القوتين اشار الله تعالى بقوله (انا هديناه السبيل إما شاكرا واما كفورا) وبقوله (وهديناه النجدين)

ولما كان من جبلة الانسان ان يتحرى مافيه اللذة وكانت اللذات على ضربين احدهما محسوس كلذة المذوقات والملوسات المشمومات والمسموعات والمبصرات وهى من توابع الشهوة الحيوانية والثانى معقول كلذة العلم وتعاطى الخير وفعل الجميل . واللذات المحسوسة اغلب علينا لكونها اقدم وجودا فينا لانها توجد فى الانسان قبل ان يولد وهى ضرورية فى الوقت ولذلك قال الله تعالى (يحبون العاجلة ويذرون الآخرة) ولذلك يكره أكثر الناس مايأمر به العقل ويميل الى مايأمر به الهوى حتى قيل العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

ولذلك يحتاج الانسان ان يقاد في بدإ امره الى مصالحه بضرب من القهر حتى قال صلى الله عليه وسلم ياعجبا لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل. فحقُّ الانسان ان يجاهد هواه الى ان يقتحم العقبة فيتخلص حينئذ من اذاه

وللنفس نظران نظرٌ الى فوق نحو العقل ومنه تستمد المعارف وتميز بين المحاسن والقبائح فتعترف كيف تتحري المحاسن وتتجنب القبائح. ونظرٌ الى تحت نحو الهوي وبه تنسى الحقائق وتألف الخسيسات بل القاذورات. والنفس متى كانت شريفة ادامت النظر الى فوق كما ذكرنا ولا تنظر الى ماتحتها الا عند الضرورة ولا تتناول اللذات البدنية الا بحسب مايرسمه العقل المستمد من الشرع أو اذا كانت دنية أكثرت الميل الى الشهوات البدنية فيحدث ذلك لها اذعانا وانقيادا للشهوات فيستعبدها الهوى كما قال الله تعالى (أفرأيتَ من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) وانما اضله بعد ان اتخذ الهه هواه وجعله عبدًا لأغراض دنيوية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم الخبر ومن هذه العبودية استاذا براهيم الخليل عليه السلام حيث قال (واجنبني وبنيَّ أن نعبد الاصنام)

الباب السادس

في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصيصه بقوة شيء فشيء منها

ذات الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات صار وعاء معاني العالم وطينة صوره ومعدن آثاره ومجمع حقائقه وكأنه مركب من جمادات ونباتات وبهائم وسباع وشياطين وملائكة ولذلك قد يظهر في شعار كل واحد من ذلك فيجري تارة مجرى الجمادات في الكسل وقلة التحرك والانبعاث وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة) وقد يظهر في شعار النباتات الحميدة أو الذميمة فيصير اما كالاترج [1] الذي يطيب حمله ونوره [2] وعوده وورقه أو كالنخل والكرم فيما يؤتى من النفع أو كالكشوث [3] في عدم الخير أو كالحنظل في خبث المذاق وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون

(١) الاترج فاكهة معروفة الواحدة أترجة (٢) التوتر الزهر (٣) الكشوث بفتح الكاف وضمها نبت يتعلق بالاغصان لا عرق له ولا ورق لا نسيم ولا ظل ولا زهر وهو يفسد الثمار ويضر الاشجار

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت (١) من فوق الارض مالها من قرار) ويظهر تارة فى شعار الحيوانات المحمودة والمذمومة فيصير اما كالنحل فى كثرة منافعه وقلة مضاره وفي حسن سياسته قال الله تعالى (وأوحي ربك الى النحل أن أتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)أو كالطير المسمى بأبى الوفا أو كالخنزير فى الشره أو كالذئب فى العيث أو كالكلب فى الحرص أو كالنمل فى الجمع أو كالفار فى السرقة أو كالثعلب فى المراوغة أو كالقرد فى المحاكاة أو كالحمار في البلادة أو كالثور فى الفظاظة وعلى هذا النحو من المشابهات دل الله بقوله « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » ويظفر تارة فى شعار الشياطين فيغوى ويضل ويسول بالباطل فى صورة الحق كما دل الله تعالى بقوله «شياطين الجن والانس يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » وانما يكون انسانا اذا وضع كل واحد من هذه الاشياء فى موضعه حسب مايقتضيه العقل المرتضى المستبصر بنور الشرع

(١) اجتث القلع أو انتزاع الشجر من أصله

الباب السابع

فى ماهية الانسان

ماهيـة كل شئ تحصل بصورته التي يتميز بها عن اغياره كصورة الصورة والسكين والسيف والمنجل ونحوها ولما كان الانسان حزئين بدن محسوس وروح معقول كما نبه الله تعالى عليه بقوله « انى خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة فصورته المحسوسة البـدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الشعر والضحك وصورته المعقولة الروحانية العقل والفكر والروية والنطق قالوا فالانسان هوالحيوان الناطق ولم يعنوا بالناطق اللفظ المعبر به فقط بل عنوا به المعانى المختصة بالانسان فعبروا عن كل ذلك بالنطق فقد يعبر عن جمله الشيء بأخص مافيه أو بأشرفه أو بأوله كقولك سورة الرحمن وسورة يوسف وسورة لإيلاف ونحوذلك فالانسان يقال على ضربين عام وخاص فالعام ان يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم

والخاص ان يقال لمن عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتا بعيدا وبحسب تحصيله يستحق الانسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالانسان فيقال فلان اكثر انسانية . وكما يقال الانسان على وجهين يقال له الحيوان الناطق على وجهين عام ويراد به من فيه قوة نوعه استفادة الحق والخير كقولك الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار أى هو الذي فيه قوته استفادة الكتابة . وخاص ويراد به من حصل الحق فاعتقده والخير فعمله كما يقال زيد هو الكاتب دون عمرو اى هو المختص بعلم الكتابة . وكذا يقال له عبد الله على وجهين عام ويراد به الحيوان المعترض لارتسام أوامر الله ارتسم أولم يرتسم وهو المشار اليه بقوله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) وخاص وهو المرتسم لاوامر الله تعالى كما قال سبحانه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكذا يقال له حى وسميع وبصير ومتكلم وعاقل كل ذلك على وجهين يقال عاما وهو لمن له الحيوانية الحيوانية التى بها الحس والتخيل والنزوع والشهوة ولمن سمع الاصوات ولمن يدرك الالوان ولمن يفهم الكافة بما يريده ولمن له القوة التى يتبعها التكليف والثانى

يقال له خاصا وهو لمن له الحياة التي هي العلم المقصود بقول الله تعالى (لينذر من كان حيا) وله السمع الذي به يسمع حقائق المعقولات والبصيرة التي بها يدرك الاعتبارات واللسان الذي به يورد التحقيقات وهي التي نفاها عن الجهلة الكفرة في قوله تعالى (صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

الباب الثامن

في كون الانسان مستصلحا للدارين

الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقة تصلح للدارين وذلك ان الله تعالى قد اوجد ثلاثة أنواع من الاحياء نوعا الدار الدنيا وهي الحيوانات ونوعا للدار الآخرة وهو الملأ الاعلى ونوعا للدارين وهو الانسان فالانسان واسطة بين جوهرين وضيع وهو الحيوانات ورفيع وهو الملائكة فجمع فيه قوي العالمين وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارشة والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات. وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الرب والصدق والوفاء ونحو ذلك من الاخلاق الشريفة ووجه الحكمة في ذلك انه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه

وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته اقتضت الحكمة ان يجمع له القوتين فانه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته كما لم يصلح لذلك البهائم ولا لمجاورته ودخول جنته. ولو خلق كالملائكة معري عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى في جوابهم «اني أعلم مالا تعلمون» فاقتضت الحكمة الالهية ان تجمع له القوتان وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على ان الانسان دنيوي واخروي وانه لم يخلق عبثا كما نبه الله عليه بقوله «أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون»

الباب التاسع

في تمثيل ذات الانسان وتصويره

قد ذكر الحكماء لذات الانسان وقواها مثالا صوروها بها فيتمثل كل مالا يدرك الا بالعقل بتصور الحس ليقرب من الفهم فقالوا ذات الانسان لما كان عالما صغيرا كما تقدم جرى مجري بلد أحكم بناؤه وشيد بنيانه وحصن صورة وخطت شوارعه وقسمت محاله وعمرت بالسكان دوره وسلكت سبله وأجريت

انهاره وفتحت اسواقه واستعملت صناعه وجعل فيه ملك مدبر وللملك وزير وصاحب بريد واصحاب أختار وخازن وترجمان وكاتب وفى البلد اخيار واشرار. فصناعها وهي القوى السبعة التى يقال لها الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والمانية والمادية والمصورة والملك العقل ومنبعه من القلب. والوزير القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ وصاحب البريد القوة المتخيلة ومسكنها مقدم الدماغ. وأصحاب الاخبار الحواس الخمس ومسكنها الاعضاء الخمس. والخازن القوة الحافظة ومسكنها خلف الدماغ. والترجمان القوة الناطقة وآلتها اللسان. والكاتب القوة الكاتبة وآلتها اليد ومسكنها الاخيار والاشرار هى القوى التى منها الاخلاق الجميلة والاخلاق القبيحة وكما ان الوالى اذا تزكى وساس الناس بسياسة الله صار ظل الله فى الارض كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السلطان ظل الله فى الارض ويجب على الكافة طاعته كما قال الله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم» كذلك متى جعل العقل سائسا وجب على سائر قوي النفس ان تطيعه . وكما ان الله تعالى جعل الناس متفاوتين كما نبه الله تعالى عليه بقوله

«ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا» كذلك جعل قوى النفس متفاوتة وجعل من حق كل واحدة ان تكون داخلة فى سلطان مافوقها متأمرة على مادونها فحق القوة الشهوانية ان تكون مؤتمرة للقوة الغضبية وحق القوة الغضبية ان تكون مؤتمرة للقوة العاقلة وحق القوة العاقلة ان تكون مستضيئة بنور الشرع ومؤتمرة لمراسمه حتى تصير هذه القوي متظاهرة غير متعادية كما قال الله تعالى «ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين» وكما لاينفك اشرار العالم من ان يطلبوا فى العالم الفساد ويعادوا الاخيار كما قال تعالى «وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها» وقال سبحانه «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّا شياطين الانس والجن» كذلك فى نفس الانسان قوى رديئة من الهوى والشهوة والحسد تطلب الفساد وتعادي العقل والفكر. وكما نبه انه يجب للوالى ان يتبع الحق ولا يصغى الى الاشرار ولا يعتمدهم كما قال تعالى «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم» الآية. وقال تعالى «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء»

وقال «وأن أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم وأحذرهم أن يفتنوك» كذلك يجب للعقل والفكر ان لا يعتمد القوى الذميمة

وكما انه يجب للوالى ان يجاهدا عداء المسلمين كما قال تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» كذلك يجب للعقل ان يعادي الهوي فان الهوى من اعداء الله بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما فى الارض معبوداً ابغض الى الله من الهوى ثم تلا أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . وكما ان من استحوذ عليه الشيطان انساه ذكر الله كذلك العقل اذا استحوذ عليه الهوى . وكما انه يجب للوالى ان يسالم اعاديه اذا لم يقو عليهم كما قال الله تعالى «وان جنحوا للسلم فاجنح لها» وان لا يركن اليهم وان سالمهم كما قال الله تعالى «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» كذلك يجب للعقل ان يسالم الاشرار من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها

وكما ان الوالى اذا احس بقوة احتاج الى ان يعدل الى نقض العهد واظهار المعاداة كما قال الله تعالى «فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» كذلك حق العقل اذا قوى على قوى النفس ان لا يداهنها .

وكما ان شياطين الانس والجن يضعف كيدهم على من تحصن بالايمان واستعاذ بالله وتقوى على من والاه كما قال تعالى «انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» كذلك يضعف كيد الهوي عن العقل اذا تقوي بالله واستعاذ به . فحق العقل ان يستعيذ من الهوى والشره والحرص والامل وان يطهر ذاته منها ومن سائر القوى الرديئة استعاذة ابراهيم صلوات الله عليه حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) فالقوي الرديئة والارادات الرديئة في ذات الانسان جارية مجرى اصنام قل ماينفك الانسان من عبادتها كما قال الله تعالى «ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون» وذكروا مثلا آخر فقالوا كل انسان مع بدنه كوال في بلد قيل له طهر بلدك من النجاسات وادب من يقبل التأديب من أهله وروض من يقبل الرياضة من حيوانه وسباعه . ومن عاث فيه ولا يقبل التأديب والرياضة فاحبسه أو اقتله ولكن بالحق كما قال الله تعالى «ولا تقتل النفس التي حرم الله الا بالحق» فان عجزت عن تطهير عرصته من الانجاس وعن تأديب طغاته ورياضة حيواناته وسباعه فلا تعجز عن صيانة نفسك عن التلطخ بنجاساته وعن الاحتراس من

ان تفترسك سباعه وان يسبيك طغاته حتى اذا لم تكن غالبا لم تكن مغلوبا - فصار الناس فى ذلك بين ثلاثة اصناف صنف لم يفعل ما أمر ولم يؤد حق الايالة وتهاون فيما فوض اليه فجرح وأسر فصار عند نفسه مع كونه مجروحا مأسورا ملوما مخذولا وصنف فعل ما أمر فأدى حق الايالة فصار عند ربه مأجورا مشكورا . وصنف جد تارة وقصر تارة فجرح وجرح وغلب وغلب فهو كما قال تعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم) وقال بعضهم الانسان اذا اعتبر مع قوة الغضب وقوة الشهوة فمثله مثل من بلى فى سفره بصحبة ثلاثة اضطر اليهم حتى لا يمكنه ان ينفصل منهم ويقضى سفره من دونهم كما قال الشاعر

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
فيا نكد الدنيا متى انت نازح عن الحر حتى لا يقاربه ضد

فواحد أمامه هوله رقيب يحفظه وعين تكلأه لكنه ملق [1] باهت مموه يلفق الباطل تلفيقا ويختلق الزور اختلاقا فيخلط الكذب بالصدق والخطأ بالصواب . والثانى عن يمينه بطش زعر [2] يحميه عن اعاديه

(١) الملق المعطى باللسان ما ليس فى القلب (٢) الزعر الشرس

لكنه كثيرا مايغويه فيهيج هائجه فلا يقمعه النصح ولا يطأطئه الرفق كأنه نار في حطب أو سيل في صبب أو قرم[1] مغتلم أو سبع ثاكل[2] فيحتاج ان يسكنه دائما فيحتمي به ومنه فهو معه كما قيل راكب الاسد يهابه الناس وهو في نفسه اهيب . والثالث عن يساره وهو الذي يأتيه بالمطعم والمشرب لكنه ارعن[3] ملق قذر شبق[4] كانه خنزير أجيع فأرسل في جلة[5] يأتيه أحيانا باطعمة خبيثة فيكرهه على تناولها فهو يحتاج ان يصابرهم حتى يقطع سفره فيبلغ أرضا مقدسة يشرق فيها النور ويشرب فيها الذئب والنعجة من حوض واحد فيأمن فيها بوائقهم ومن حيلته التي ترجى ان يسلم منهم بها ان يسلط هذا البطش الزعر على هذا الارعن الملق حتى يزبره زبرا[6] وان يطفئ غلو هذا الزعر التائه بخلابة هذا الارعن الملق وان لا يجنح الى الباهت المتخرص حتى يأتيه موثقا من الله غليظا ثم يصدقه فيما ينهيه اليه فجعل الملق الباهت كناية عن الوهم والبطش الزعر عن الغضب

---

(١) القرم البعير والمغتلم الشديد الهياج (٢) الثكل فقدان الحبيب أو الولد (٣) الرعونة الحمق (٤) الشبق الشديد الغلمة والشهوة (٥) بالفتح الجلة البعرة وتطلق على العذرة (٦) الزبر الزجر والانتهار

والارعن الملق عن الشهوة وجعل الارض المقدسة عبارة عن دار السلم وذكر ان حيلته فى ان يسلم منهم ان يدفع بعض هذه القوى ببعض دفع الشر بالشر

الباب العاشر

فى كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله

المقصود من العالم وايجاده شيئا بعد شىء هو ان يوجد الانسان فالغرض من الاركان أن يحصل منها النبات ومن النبات أن تحصل الحيوانات ومن الحيوانات أن تحصل الاجسام البشرية ومن الاجسام البشرية أن يحصل منها الارواح الناطقة ومن الارواح الناطقة أن يحصل منها خلافة الله تعالى فى أرضه فيتوصل بايفاء حقها الى النعيم الأبدى كما دل الله تعالى عليه بقوله (انى جاعل فى الارض خليفة) وجعل تعالى الانسان سلالة العالم وزبدته وهو المخصوص بالكرامة كما قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وجعل ماسواه كالمعونة له كما قال تعالى فى معرض الامتنان (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) فليس فضله بقوة الجسم فالفيل والبعير

أقوى جسما منه ولا بطول العمر فالنسر والحية أطول منه عمرا ولا بشدة البطش فالاسد والنمر أشد منه بطشا ولا بحسن اللباس فالطاووس والدراج [1] أحسن منه لباسا ولا بالقوة على النكاح فالحمار والعصفور أقوى منه نكاحا ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن والجبال أكثر منه ذهبا وفضة وما أحسن قول الشاعر

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدى الكماة عوالى المران

ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال (خلقتني من نار وخلقته من طين) بل ذلك بما خصه الله تعالى به وهو المعنى الذى ضمنه فيه والأمر الذي رشحه له وقد أشار اليه تعالى بقوله « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » وبقوله « خلقت بيدي » والملائكة لما نبههم الله تعالى لفضل آدم تنبهوا فأذعنوا وسجدوا له كما أمروا . وابليس لما نظر الى ظاهر آدم وبدئه وتعامى عما ذكر الله تعالى ولم يتأمل المعنى الذي ضمنه الله تعالى آدم والعاقبة التى جعلها له أبى واستكبر . وقد اقتدي به الكفار فى رد الانبياء حيث قالوا

(١) الدراج بالضم والتشديد ضرب من الطير ذكرا كان أو انثى

« ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » وقالوا « مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » وقد نبه الله تعالى على ان الاعتبار بفضائلهم ليس بظاهر ابدانهم وانما ذلك لمعانى فى نفوسهم يعمي عنها الكفار فقال عز من قائل « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » أى لا يعرفون ما فضلتهم به . فمن وفق لفضل ما أعطي ولما رشح له وأعد ثم سعى فى مثاله فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

الباب الحادي عشر

فى الغرض الذى لاجله أوجد الانسان ومنازلهم

الغرض منه ان يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر أرضه كما نبه الله تعالى بآيات فى مواضع مختلفة حسب ما اقتضت الحكمة ذكره وذلك قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقوله انى جاعل فى الارض خليفة . وقوله . ليستخلفنهم فى الارض . وقوله ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . وقوله . يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله . وقوله . واستعمركم فيها . وكل ذلك اشارة الى توليتهم أمورا لم يستصلح لها الا الانسان كما نبه الله تعالى عليه بقوله للملائكة

« انى أعلم مالا تعلمون » وذلك أن الله تعالى ما كان موجدا لما هو موجده وفاعلا لما هو فاعله الأعلى أربعة أوجه

الاول افعال تولاها بذاته وهى الابداع ومعنى الابداع هو ايجاد الشيء من العدم واليه الاشارة بقوله تعالى « بديع السموات والارض »

والثانى افعال استعبد فيها ملائكته وسماه قوم التكوينات وذلك اخراج الشيء من النقص الى الكمال اخراجا غير محسوس فاعله وبذلك وصفهم الله تعالى بقوله . فالمدبرات امرا . وهم ثلاثة اضرب ضرب اليهم القيام بالاجرام السماوية وقد قيل هم اسرافيل وميكائيل وجبرائيل ورضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقوله تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله الآية » وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية كالملائكة الباعثة للرياح والمزجية للسحاب الموصوفين بقوله تعالى والمرسلات عرفا . وقوله عز وجل . والنازعات غرقا . وضرب اليهم تدبير الارض كالموصوفين بقوله تعالى « له معقبات من بين يديه

ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » وكمن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة الجنين انه يبعث ملكا فينفخ فيه الروح وكالحفيظ والرقيب والعتيد وكمن وصفهم الله بقوله « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين »

والثالث أفعال سخر الله تعالى لها الاركان وموجودات العالم كالاحراق والاذابة للنار والترطيب للماء وفى الجملة ماقد سخر تعالى له شيئا فشيئا من الجمادات والناميات وغير ذلك ونبه عليه بقوله تعالى « وسخر لكم الشمس والقمر » وغير ذلك من الآيات المذكورة

والرابع الصناعات والمهن المحسوسة التى استعبد الانسان فيها واستخلفه وهي الاشياء التى يحتاج صناعة اكثرها الى ستة أشياء الي عنصر تعمل منه والي مكان والى زمان والي حركة والي أعضاء والي آلة وهذا الضرب خص الانسان به ولم يستصلح له الملائكة وجعل لكل من الملك مقاما معلوما كما نبه عليه تعالى بقوله (ومامنا الا له مقام معلوم) وكذلك جعل لكل نوع من الناس مقاما معلوما كما نبه عليه بقوله (قل كل يعمل على شاكلته) وقوله (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ولكن

عامة الملائكة لم يعصوا الله فيما أمرهم كما وصفهم تعالى بقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون*والناس فيما أمروا به وكلفوه بين مطيع وعاص فهم على القول المجمل ثلاثة أضرب فضرب اخلوا بأمره وانسلخوا عما خلقوا لاجله واتبعوا خطوات الشيطان وعبدوا الطاغوت. وضرب وقفوا بغاية جهدهم حيث ماوقفوا كالموصوفين بقوله تعالى «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا» وضرب ترددوا بين الطريقين كما قال الله تعالى «خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا» فمن رجح حسناته على سيئاته فموعود بالاحسان اليه. وعلى الانواع الثلاثة دل الله تعالى بقوله (وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون) وعلى هذا اقسم الله تعالى في آخر السورة فقال (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) وكثير من الناس يعصون الله ولا يأتمرون له فقيضهم الله تعالى بغير ارادة منهم للسعي في نصرته من حيث لا يشعرون كفرعون في اخذ موسى وتربيته.

وكجمعه السحرة ليكون سببا فى ايمانهم . واخوة يوسف فى فعلهم ما افضى به الى ملك مصر وتمكنه مما تمكن منه ويكون مثلهم فى ذلك كما قيل

قصدت مساتى فاجتلبت مسرتى

وقد يحسن الانسان من حيث لا يدرى

وقال آخر

فعل الجميل ولم يكن من قصده فقبلته وقرنته بذنوبه

ولرب فعل جاءنى من فاعل فحمدته وذممت من يأتى به

فيكون فعله محمودا وفاعله مذموما كما قيل

رب أمر اتاك لا تحمدا فعال وتحمد الافعال

وقد أوجد الله تعالى كل ما فى العالم للانسان كما نبه عليه بقوله تعالى (جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقال تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض الآية) وقال عز وجل (وسخر لكم ما فى الارض) وقول تعالى (هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب

ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار) الآية واباح جميعها لهم كما نبه الله تعالى عليه بقوله (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فللانسان ان ينتفع بكل ما فى العالم على وجهه اما فى غذائه أو فى دوائه أو فى ملابسه ومشموماته ومركوباته وزينته والالتذاذ بصورته أو رؤيته والاعتبار به وباستفادة علم منه والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه فيما يستقبح منه فقد نبه الله تعالى على منافع جميع الموجودات واطلع الخلائق عليها اما بالسنة الانبياء عليهم السلام أو بالهام الاولياء رضى الله عنهم وكما أن حق الانسان ان يعرف منافع الحيوانات فى ذواتها فينتفع بها فى المطاعم والملابس والادوية فحقه ان يعرف اخلاقها وافعالها فينتفع بها فى اجتناء ما يستحسن واجتناب ما يستقبح منها. فقد احسن من قال تعلمت من كل شىء احسن ما فيه حتى من الكلب حمايته على اهله. ومن الغراب بكوره فى حاجته وقد اشار الله تعالى الى ذلك فى وصف النحل فقال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات الآية) فنبه على ان الانسان حقه ان يقتدى بالنحل فى مراعاته لوحى الله عز وجل

فكما انها لا تتخطى وحي الله في تحرى المصالح طبعا كذلك يجب على الانسان ان لا يتخطى وحى الله اختيارا

الباب الثانى عشر

في تفاوت الناس واختلافهم

الاشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث انها مصنوعة بالحكمة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ومختلفة من حيث ان كل نوع يختص بفائدة وكل نوع وان اختلف فما من شيء أكثر اختلافا من الناس كما قال الله تعالى (وقد خلقكم اطوارا) . وقال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . وقال سبحانه وتعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقال سبحانه ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية . وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وقال سبحانه ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من

رحم ربك . وعلى هـذا نبه الله تعـالي بقوله وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع الى قوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون والحكمة المقتضية لذلك هوان الانسان لما كان غير مكفى بتفرده حتى لوان انسانا حصل وحده لامتنع أوتعذر بقاؤه ادنى مدة فان أول مايحتاج الانسان اليه مايواريه ومايغذوه (١) وليس يجد مايواريه مصنوعا ولا مايغذوه مطبوخا كما يكون لكثير من الحيوانات بل هومضطر الي اصلاحهما واصلاح ذلك يحوجه الي آلات غير مفروغ منها والانسان الواحد لا توصل له الى اعداد جميع مايحتاج اليه ليعيش العيشة الحميدة فلم يكن بد للناس من تشارك وتعاون فجعل لكل قوم صـنعة وهيئة مفارقة للصـنعة الاخرى ليقتسـموا الصناعات بينهم فيتولى كل منهم صنفا من الصناعات فيتعاطاه باهتزاز كما قال الله تعالى (فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بمـا لديهم فرحون) فاقتضت الحكمة ان تختلف جثثهم وقواهم وهممهم فيكون كل ميسر لمـا خلق له . وقال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) فتكون

(١) يقال غذوت الصبي باللبن من باب غذا أي ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا

معايشهم متقسمة بينهم كما نبه الله عليه بالايات المتقدمة . وقال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) والاختلاف الحاصل بين . فالناس اذا اعتبر اختلاف اغراضهم وهممهم فهم فى صناعاتهم فى حكم المسخرين وان كانوا فى الظاهر مختارين وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يتعلق من المصلحة بتباينهم واختلاف طبقاتهم فقال لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا .

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

فى سبب تفاوت الناس

أسباب ذلك سبعة أشياء الاول اختلاف الامزجة وتفاوت الطينة واختلاف الخلقة كما أشير اليه فيما روي ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام أمر أن يوخذ من كل أرض قبضة فجاء بنوا آدم على قدر طينتها الاحمر والابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والخبيث والى نحو هذا اشار الله تعالى بقوله (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا) وقال تعالى (هو

الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء» * والثانى اختلاف أحوال الوالدين فى الصلاح والفساد وذلك ان الانسان قد يرث من أبويه آثارهما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما كما يرث منشابهتهما فى خلقهما ولهذا قال الله تعالى « وكان أبوهما صالحا » . وعلى نحوه روي انه قال فى التوراة انى اذا رضيت باركت وان بركتى لتبلغ البطن السابع واذا سخطت لعنت وان لعنتى لتبلغ البطن السابع تنبيها على ان الخير والشر الذى يكسبه الانسان ويتخلق به يبقى اثره موروثا الى البطن السابع * والثالث اختلاف ماتتكون منه النطفة التى يكون منها الولد ودم الطمث الذى يتربى به الولد فذلك له تأثير بحسب طيب ماتكونا منه وخبثه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم . وقال النا كح غارس فلينظر أحدكم أين يضع غرسه . وقال اياكم وخضراء الدِّمن قيل وماخضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء * والرابع اختلاف مايتفقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذى يتربى به ولتأثير الرضاع تقول العرب لمن تصفه بالفضل لله دره * والخامس اختلاف أحوالهم فى تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة فحق الولد

على الوالدين ان يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم • مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر ويجب أن يصان عن مجالسة الارذياء فانه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به وان يحسن في عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على المآكل والمشارب ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوى السخف ويؤخذ بقلة النوم في النهار فهو يشيب ويورث الكسل ويعود التأني في أفعاله وأقواله ويمنع من مفاخرة الاقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع قال بعض الحكماء من سعادة الانسان ان يتفق له في صباه من يعوده تعاطى الشريعة حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده قويت بصيرته ونفذت في تعاطيها عزيمته * والسادس اختلاف من يتخصص به ويخالطه فيأخذ طريقته فيما يتمذهب به (عن المرء لا تسأل وابصر قرينه) * والسابع اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه • والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الاسباب المستعدة وهو ان يكون

طيب الطينة معتدل الامزجة جاريا في اصلاب آباء صالحين ذوى أمانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ومن دم طمث طيب على مقتضى الشرع ومرتضعا بدر طيب ومأخوذا في صغره من قبل مربيه بالاداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصا بعد بلوغه بمذهب حق ومجهدا نفسه في تعرف الحق مسارعا الى الخير فمن وفق في هذه الأشياء تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات كما قال الله تعالى « لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » . ويكون جديرا ان يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » . والرذل التام الرذيلة هو من يكون بعكس هذا في الامور التي ذكرناها * واعلم ان من طابت أحواله انتفع بكل ماسمعه وشاهده ان خيرا وان شرا ومن خبثت أحواله استضر بكل ماسمعه وشاهده وعلى ذلك دل الله تعالى بقوله (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا » . فالخبيث من الارض وان طاب بذره وعذب ماؤه لاينبت الا خبيثا والطيب من الارض وان كدر بذره وملح ماؤه لاينبت الا طيبا ولذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه « تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل

وقال فى صفة كتابه « قل هو للذين امنوا هـدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى »

الباب الرابع عشر

في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية

اقتضت الحكمة ان تكون الشجرة النبوية صنفا مفردا ونوعا واحدا واقعا بين الانسان وبين الملك ومشاركا لكل واحد منهما على وجه فانهم كالملائكة فى اطلاعهم على ملكوت السماوات والارض وكالبشر فى أحوال المطعم والمشرب . ومثله فى كونه واقعا بين نوعين مثل المرجان فانه حجر يشبه الاشجار بتشذب اغصانه وكالنخـل فانه شجر شبيه بالحيوان فى كونه محتاجا الى التلقيح وبطلانه اذا قطع رأسه . وجعل الله النبوة فى ولد ابراهيم ومن قبله فى نوح كما نبه عليه بقوله « ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب . وقال تعالى (ذرية بعضها من بعض» . فهم عليهم السلام وان كانوا من حيث الصورة كالبشر فهم من حيث الارواح كالملك قد أيدوا بقوة روحانية وخصوا بها كما

قال الله تعالى فى عيسى عليه السلام « وأيدناه بروح القدس » وقال في محمد صلى الله عليه وسلم « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » . وتخصيصهم بهذا الروح ليمكنهم ان يقبلوا من الملائكة لما بينهم من المناسبة بتلك الارواح ويلقون الى الناس لما بينهم من المناسبة البشرية لذلك قال سبحانه « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون » تنبيها على ان ليس فى قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر . ولما عمى الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعما للانبياء من الفضيلة أنكروا نبوة الانبياء كما قال الله تعالى « قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباءنا فأتونا بسلطان مبين » . فالانبياء صلوات الله عليهم بالاضافة الى سائر الناس كالانسان بالاضافة الى الحيوان وكالقلب بالاضافة الى سائر الجوارح وايضا فمنزلة الانبياء من أممهم بمنزلة الشمس من القمر ومنزلة علمهم من علوم أممهم بمنزلة ضوء الشمس من نور القمر كما قال الله تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) . فكما ان نور القمر مقتبس من ضوء الشمس وهو قاصر عنها كذلك منزلة الامم من أنبيائهم

ومنزلة علمهم من علومهم. وكما لايحصل النور للقمر الا بوساطة الشمس كذلك لاتحصل علوم الناس وتزكية نفوسهم الا بوساطة الانبياء وعلى هذا دل الله تعالي بقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم). فالله تبارك وتعالى يزكى الانبياء بوساطت الملك ويزكي من يشاء من الناس بوساطت الانبياء كالطابع الذى جعل له كتابة ثم بوساطته يثبت في الشموع المختلفة شكل تلك الكتابة

الباب الخامس عشر

فى هداية الاشياء الى مصالحها

كل ماوجد الله سبحانه فانه هداه لما فيه مصلحته كما نبه عليه بقوله تعالى (اعطي كل شيء خلقه ثم هدي) . لكن هدايته للجمادات بالتسخير فقط كالاشياء الارضية التى اذا تركت تنحو نحو السفل وكالنار التى تنحو الى العلو . وهدايته للحيوانات الى افعال تتعاطاها بالتسخير والالهام كالنحل فيما يتعاطي من السياسة واتخاذ البيوت المسدسة ومن عمل العسل . وكالسرفة [1] فيما

(١) السرفة بالضم دويبة تتخذ بيتا من دقائق العيدان فتدخله وتموت

تبنيه من الابنية . وكالعنكبوت فى نسجه . وهدايته للملائكة بالتسخير والالهام وببداهة العقل وماجعل لهامن العلوم الضرورية فاما الانسان فهدايته له تعالى بكل ذلك وبالفكر . وذلك انه بالتسخير بنفسه وكثير من حركاته وبالالهام هدايته طفلا للارتضاع بالثدى وطلب الغذاء والتشكى من الالام بالبكاء وببديهة العقل يعرف مبادي العلوم وبالفكر يتوصل الى استنباط المجهول بالمعلوم فهو ان خلق عاريا من المعارف التى جعلها الله تعالى للحيوانات بالالهام ومن الملابس والاسلحة التى جعلها لها بالتسخير فقد جعل للانسان قوة التعلم بالعقل والفكر وتحصيل الملابس والاسلحة والآلات المختلفة ووكله الى نفسه من الاستفادة ومكنه من ذلك وذلك فضيلة لا نقيصة ورفعة لا ضعة فانه باعطائه العلم والعقل واليد العاملة قد أعطاه كل شيء ولو أعطى كل شيء حسب ما أعطى البهائم شيئا فشيئا لكان قد منع كل شيء لان بعضه كان يمنعه عن استعمال البعض والي تمكن الانسان من تحصيل مايريده أشار الله تعالى بقوله «والله أخرجكم من

ومنه المثل (اصنع من سرفة) وسرفت السرفة الشجرة اكلت ورقها ومنه السرف الذى هو الحد فى النفقة

بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » وقد ظن قوم ان الله تعالى خلق الناس من بين الحيوان خلقا منقوصا اذ لم يعطوا سلاحا يدفعون به عن انفسهم كما أعطي كثيرا من الحيوان أسلحة الانياب والمخالب اذ لم يكفهم لباسهم كما كفي الحيوان بل قد أحوجهم الى تطهير البدن وقد أغناها عنه قالوا ولذلك قال الله تعالى « وخلق الانسان ضعيفا » . وليس كذلك والصحيح عند المخلصين ان الانسان وان كان ضعيفا بالاضافة الى الباري تعالى والي الملأ الاعلى فليس يقصر عن الحيوان جميعه من جهة ماظنوه فان الله تعالى بحكمته البارعة أعطى كل واحد من الحيوان سلاحا بقدر ماعلم من مصلحته فبعض جعل له آلة الهرب كالعدو وبعض جعل له رمحا يدفع به كالقرون للبقر والغنم وبعض دبوسا كالحافر للفرس والحمار وبعض نشابا كالشوك للقنفذ وجعل لكل لباسا بحسب كفايته والهم كلا منها صنعة يتعاطاها بطبعه وجعل للانسان بدل ذلك الفكر والتمييز الذى يمكنه ان يتخذ به كل آلة وكل ملبس على قدر حاجته اليه ويتناوله متى شاء ويضعه متى أحب ويستبدل به كيفما أراد والحيوان ليس لها أن تضع أسلحتها

متى ماستغنت عنها ولا ان تستبدل بها فهذا دليل على تمام الانسان ونقصان الحيوانات والانسان بالفكر والروية يقهر الحيوانات التى هي أقوي منه لانه يهيئ بفكرته لكل منها آلة يصطادها بها فاذا العقل الذى أعطاه ليحصل به كل مايحتاج اليه أعلى وأشرف فانه مرآة اذا جلاها أطلع بها على ملكوت السموات والارض

﴿ الباب السادس عشر ﴾

فى سعادة الانسان ونزوعه اليها

قال بعض الحكماء جعل الله لكل شيء كما لاينساق اليه طبعا وقد هداه الى التخصيص به تسخيرا كما نبه الله عليه بقوله تعالى «اعطى كل شيء خلقه ثم هدي» . وللانسان سعادات ابيحت له وهى النعم المذكورة فى قوله تعالي « وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وجميع النعم والسعادات على القول المجمل ضربان ضرب دائم لا يبيد ولا يحول وهوالنعم الاخروية وضرب يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية والنعم الدنيوية متى لم توصلتا الى تلك السعادات فهى كسراب بقيعة وغرور وفتنة وعذاب كما وصفه الله تعالى فى كتابه زانما مثل

الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء .. الآية) . وما أصدق ماقال الشاعر

انما الدنيا كرؤيا أفرحت من رآها ساعة ثم انقضت

﴿فصل﴾

ما أحد الا وهو فازع الي سعادة يطلبها بجهد ولكن كثيرا مايخطئ فيظن ماليس بسعادة فى ذاته انه سعادة فيغتر بها فيكون كالموصوف بقول الله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) . وبقوله تعالى (اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء) وقال الشاعر

كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط فى تصرف حاله فلربما اختار العناء على الدعه

﴿ فصل ﴾

النعم الدنيوية انما تكون نعمة وسعادة انما تنوولت على مايجب وكما يجب ويجرى بها على الوجه الذى لاجله خلق وذلك ان الله جعل الدنيا عارية ليتناول منها قدر مايتوصل به الى النعم الدائمة

والسعادة الحقيقة وشرع لنا فى كل منها حكما بين فيه كيف يجب ان يتناول ويتصرف فيها لكن صار الناس فى تناولها فريقين فريق يتناولوه على الوجه الذى جعله الله لهم فانتفعوا به فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله تعالى (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) . وقوله عز وجل (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة) . فهؤلاء حيوا بها حياة طيبة كما قال تعالي (فلنحيينه حياة طيبة)* وفريق يتناولوها لا على الوجه الذى جعلها الله لهم فركنوا اليها فصار ذلك لهم نقمة وشقاوة فتعذبوا بها عاجلا وآجلا وهم الموصوفون بقوله تعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون)

﴿ فصل ﴾

والسعادات الاخروية ليس لنا تصور كنهها مادمنا فى دار الدنيا ولذلك قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة

اعين) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى اعددتُ لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * والسبب في قصورنا عن تصورها شيئان احدهما ان الانسان لا يمكن ان يعرف حقيقة الشيء وتصوره حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه ووصف له يجري مجرى صبي توصف له لذة الجماع فلا يمكن أن يتصور حقيقته حتى يبلغ فيباشره بنفسه وكالاعمى توصف له المرآة وحالنا في اللذة الاخروية هكذا فانا لا نتصورها على الحقيقة الا اذا طالعناها فاذا طالعناها شغلنا الفرح والتلذذ بها عن كل مادونها كما قال تعالى «أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون» والثاني ان لكل قوة من قوى النفس وجزء من اجزاء البدن لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيرها فلذة العين في النظر الى ماتستحسنه ولذة السمع في الاستماع الى مايستطيبه ولذة اللمس في لمس مايستلذه ولذة الوهم في تصور مايؤمله ولذة الخيال في تخيل مايستحسن تصوره ولذة الفكر في امر مجهول عنده يتعرفه وكل واحد من هذه القوي والاجزاء اذا عرض لها آفة تعوقها عن شهوتها وعن ادراك لذتها يكون كالمريض الذي لا يشتهي الماء وكان به ظمأ واذا تناوله لم يجد له لذة كما قال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرًّا به الماء الزلالا

واذا كان كذلك فاللذات الاخروية هى لذات لاتدرك الا بالعقل المحض وعقول أكثر من فى هذه الدار مولهة معوقة عن ادراك حقائق اللذات الاخروية فلاتشعر بها كالخدر [1] لآفة عرضت له فلايحس بالسبب المؤلم . وكالمريض الذى لايحس بالجوع وان كان جوعه يؤذيه ولا يشتهى الطعام ان كان فقد الطعام يضنيه بل انما يحس بالجوع اذا زال السبب المؤلم . وايضا فعقول أكثرنا ناقصة وجارية مجرى عقول الصبيان الذين لم يبلغوا مبلغ رجال قد عرفوا حقائق الاشياء فكما ان الصبيان مادامو اصغارا لايحتشون باللذات والآلام التى تعرض للرجال فيتعللون بالاباطيل والاضاليل كذلك من كان فى عقله صبيا لم يطلع على الحقائق وبالاعتبار بهم قال الله تعالى «وماهذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب» وقال تعالى «فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» ولما أراد الله تعالى ان يقرب معرفة تلك اللذات من افهام الكافة شبهها ومثلها لهم بانواع ماتدركها حواسهم فقال تعالى «مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار

(١) خدر العضو استرخى فلا يطيق الحركة

من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » ليبين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم وقال (مثل الجنة التي وعد المتقون) ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على ان ذلك تصوير وتمثيل فالانسان وان اجتهدما اجتهدان يطلع على تلك السعادة فلا سبيل له اليها الا على احد وجهين احدهما ان يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك كما قال الله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون) والثاني ان يزيل قبل مفارقة الهيكل الامراض النفسانية المشار اليها بقوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وارجاسها المشار اليها بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فيطلع من وراء ستر رقيق على بعض ما أعده له كما حكي عن حارثة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم عزفت [1] نفسي من الدنيا فكأني انظر الى عرش ربي بارزا واطلع على أهل الجنة يتزاورون وعلى أهل النار يتعاوون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم . وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام لو كشف الغطاء

(١) عزف عن الشيء انصرف عنه

مازددت يقينا

الباب السابع عشر

في حال الانسان فى دنياه ومايحتاج أن يتزود منها

الانسان مسافر ومبدأ سفره من حيث ماأشار اليه تعالى بقوله (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين) وحيث قال فى صفة نبيه (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ومنتهى سفره دار السلام ودار القرار . وله فى سفره أربعة منازل ظهر أبيه وبطن أمه وظهر الارض والموقف . وله حالتان حالة هو فيها مستودع وهو مادام فى هذه المنازل وحالة هو فيها مستقر وهو اذا حصل فى دار القرار والى ذلك اشار الله تعالى بقوله (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) والمنزل الذى فيه يحتاج الى تزود مادام على ظهر الارض فالانسان فى كدح وكبد[1] مالم ينته الى دار القرار كما قال الله تعالى (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) وهو مجبول على طلب

(١) الكدح العمل والكد والكبد الشدة وكابد الامر قاسى شدته

الراحة لكن الناس فى طلبها على ضربين ضرب عموا عن الآخرة وقالوا (ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أوفعلوا فعل من قال ذلك وان لم يقولوا قولهم فطلبوا الراحة من حيث لا راحة وهم كالموصوفين بقوله عزوجل (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) وقوله (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض .) الآية فانهم طلبوا من الدنيا ماليس فى طبيعتها ولا موجودا فيها ولها وما احسن قول الشاعر

اريد من زمني ذا ان يبلغني ماليس يبلغه في نفسه الزمن

وقال آخر

مضى قبلنا قوم رجوا أن يقوّموا بلا تعب عيشا فلم يتقوم

وضرب عرفوا الدنيا والآخرة وعلموا ان الدنيا كما قال الله تعالى (ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين وان الدار الآخرة لهى الحيوان) وعلموا ان فيها يستقر الانسان ويطمئن كما قال الله تعالى (ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وانه يحتاج الى ان يسافر اليها كما قال عليه السلام سافروا تغنموا . فاحتملوا المشقة علما ان كل تعب يؤديهم الى راحة فهو راحة فسعدوا كما قال الله تعالى

(فأما الذين سعدوا ففى الجنة).

وقد جعل للانسان حرثين مفيدين لزادين أحدهما روحانى كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الحميدة وثمرته الحياة الابدية والغنى الدائم والاستكثار منه محمود ولا يكاد يطلبه الا من قد عرفه وعرف منفعته. والثانى جسمانى كالمال والاثاث وفى الجملة ماقد نبه الله تعالى عليه بقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث). وثمرته ان تحصل به الحياة الدنيوية الفانية ويسترجع من الانسان اذا فارق دنياه ولا ينتفع منه بشئ الا بقدر ما استعان به فى الوصول الى الزاد الاخروي كما نبه الله تعالى عليه بقوله (وما الحياة الدنيا فى الاخرة الا متاع). ولا يولع بالركون اليها الا من جهل حقائقها ومنافعها والاستكثار منه ليس بمذموم مالم يكن مثبطا لصاحبه عن مقصده وكان متناولا على الوجه الذي يجب وكما يجب ومجعولا الى الوجه الذى ينتفع به فى مقصده لكن تناوله على هذا الوجه والاستكثار منه لا يتأتى الا اذا كان السلطان

عادلا والامور جارية على اذلالها[1] فيحفظ الناس معاملاتهم على مقتضى الشرع ثم يكون صاحبه اذا تناوله كما قال تعالى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فاذا لم يكن الامر كما ذكرنا من الاستقامة فليس الا الاقتصاد والاقتصار والتبلغ بما أمكن حتى ينقضى السفر. والموفق فى الدنيا اذا رأى نفسه قاصرة عن الجمع بين الامرين اهتم بما يبقى وأقل العناية بما يفنى وآثر الآخرة على الدنيا فلا يلتفت الى الدنيا الا بقدر ما يتبلغ به الى الآخرة مراعيا فيه حكم الشرع ومحافظا لقول الله عز وجل (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم ما انا والدنيا انما مثلى فيها مثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقام فى ظلها ساعة ثم راح وتركها وقد نبه الله تعالى على حال من يريد ان يتجرد ويتخلص من حبالة[2] الدنيا على سبيل المثل بقوله (ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى

(١) يقال امور الله جارية على اذلالها اى مجاريها جمع ذل بالكسر

(٢) الحبالة ككتابة المصيدة

الا من اغترف غرفة بيده) . ومحبة الدنيا كما قال النبي صلي الله عليه وسلم رأس كل خطيئة. وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من سكن قلبه حب الدنيا بلى بثلاثة شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه. وقال صلى الله عليه وسلم من كانت الدنيا اكبر همه فرق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة اكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة وهذا معنى قوله عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) ومعرفة ذلك والوصول اليه لا يمكن الا ان يستضىء العقل بنور الشرع متعمدا على من له الخلق والأمر

الباب الثامن عشر

فى تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر

اعلم ان العقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يغني اس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن اس. وأيضا فالعقل كالبصر والشرع

كالشعاع ولن يغنى البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع مالم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) وأيضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء). والله هو الهادي. وأيضا فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر فى غير موضع من القرآن نحو قوله (صم بكم عمى فهم لايعقلون). ولكون العقل شرعا من داخل قال فى وصف العقل (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فسمى العقل دينا. ولكونهما متحدين قال (نور على نور) أى نور الشرع ونور العقل ثم قال (يهدي

لتدلنوره من يشاء) . فجعلهما نورا واحدا فالشرع اذا فقد العقل عجز عن اكثر الامور عجز الدين عند فقد الشعاع

واعلم ان العقل بنفسه قليل الغناء[1] لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الاشياء دون جزئياتها نحو ان يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق وتعاطى الجميل وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير ان يعرف ذلك فى شيء شيء والشرع يعرف كليات الاشياء ويبين ما الذى يجب ان يتعقد فى شيء شيء وما الذي هو معدلة فى شيء شيء ولا يعرفنا العقل مثلا ان لحم الخنزير والدم والخمر محرم وانه يجب ان يتحامى من تناول الطعام فى وقت معلوم وان لا تنكح ذوات المحارم وان لا تجامع المرأة فى حال الحيض فان اشباه ذلك لا سبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقاد الصحيحة والافعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل . ولاجل ان لا سبيل للعقل الى معرفة ذلك قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) . وقد قال الله تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت

(١) الغناء بالفتح والمد النفع

الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى). والى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا). وعنى بالقليل المصطفين الاخيار

الباب التاسع عشر

فى فضيلة الشرع

اعلم ان أحكام الشرع من وجه دواء ومعجون مفروغ منه تولى ايجاده من له الخلق والأمر. وهو دواء مفيد للحياة الابدية والسلامة الدائمة كما قال الله تعالى (أو من كان ميتا فاحييناه) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم). فجعل ذلك روحا لافادة الحياة الابدية. وقال الله تعالى (قل هو للذين امنوا هدى وشفاء) وقوله (شفاء لما فى الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين) *ومن وجه هو ماء مطهر مزيل للانجاس والارجاس النفسية كما قال الله تعالى فى وصفه للقرآن (انزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا). وكذلك قال الله تعالى (انما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) *ومن وجه هو نور وسراج مزيل للظلمة والحيرة والجهالة قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الي صراط مستقيم) . وقوله تعالى (الله نور السموات والارض) *ومن وجه وسيلة الى الله عز وجل كما قال (يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) . وقال فيمن مدحهم (يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته) وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) وقوله تعالي (فليرتقوا في الاسباب) *ومن وجه هو الطريق المستقيم كما قال الله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما)

﴿ فصل ﴾

ذكر بعض الحكماء ان الارض المقدسة المذكورة فى قوله تعال (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم) هى فى الدنيا الشريعة وفى الآخرة الجنة لانها هى التى اذا دخلها الانسان لا يرتد على دبره ونال السعادة الكبرى بلا مثنوية[1]

(١) يقال هبة ليس فيها مثنوية ولا ثنيا اى استثناء

فأما بيت المقدس فى الارض فان من يدخله فبنفس دخوله اياه لا يستحق مثوبة بل المثوبة تستحق بامور أخر يكون دخوله المكان الذى هو بيت المقدس آخرها بعد ان يكون دخوله على وجه مخصوص وفى حال مخصوص قال وعلى هذا الحرم المذكور فى قوله تعالى (أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) . وسأل جعفر بن محمد الصادق بعض الفقهاء عن هذه الآية فقال اريد بها مكة فقال واعجبا واى أرض اكثر تخطفا لمن حولها من مكة . ويدل على ما قال قول الله تعالى بعد ذلك (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى أفلا تعقلون) وكذلك قوله تعالى (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) . والسفر الموعود بالغنيمة بقول النبى صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا هو السفر الى هذه الدار وكذلك الفرار المدعو اليه من جهة المثل بقوله (ففروا الى الله) وكذا الحج الاكبر الذي دعا الناس اليه بقوله (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) وقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وكذا الجهاد

الاعظم في قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) والهجرة الكبرى في قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

الباب العشرون

في ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الله فليس بانسان

لما كان الانسان انما يصير انسانا بالعقل ولو توهمنا العقل مرتفعا عنه لخرج عن كونه انسانا ولم يكن اذا تخطينا الشبح الماثل الا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة والعقل لن يكمل بل لا يكون عقلا الا بعد اهتدائه بالشرع كما تقدم ولذلك نفى العقل عن الكفار لما تعروا عن الهداية بالشرع في غير موضع من كتابه والاهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالى فالانسان اذا في الحقيقة هو الذي يعبد الله ولذلك خلق كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) وكما قال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) فكل ما أوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ولذلك كثيرا ما يسلب عن الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصا كقولهم للفرس الردىء ليس هذا فرس وللانسان ليس هذا بانسان . ويقال فلان لا عين له ولا أذن

له اذا بطل فعل عينه وأذنه وان كان شبحهما باقيا وعلى هذا قال تعالى (صمٌّ بكمٌ عميٌ) فيمن لم ينتفع بهذه الاعضاء فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لاجلها خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن رفضها فقد انسلخ من الانسانية فصار حيوانا أو دون الحيوان كما قال الله تعالى في وصف الكفار (إن هم الا كالانعام بل هم اضلُّ سبيلا) وقال (ان شرَّ الدواب عند الله الصمُّ البكمُ الذين لا يعقلون) فلم يرض ان يجعلهم انعاما ودوابَّ حتى جعلهم اضل منها وجعلهم من اشرارها واخرج كلامهم عن جملة البيان فقال تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصدية) تنبيها على انهم كالطيور التي تمكو وتصدّي [1] ونبه تعالى بنكتة لطيفة على ان الانسان لا يكون انسانا الا بالدين ولا اذا بيان الا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية فقال تعالي (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينهما وكان الوجه على متعارف الناس ان يقول خلق الانسان وعلمه البيان وعلمه القرآن فان ايجاد الانسان

(١) مكا الطائر صفر وصدى صفق

بحسب نظرنا مقدم على تعليم البيان وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن لكن لما لم يعد الانسان انسانا ما لم يتخصص بالقرآن ابتدأ بالقرآن ثم قال خلق الانسان تنبيها على ان بتعليم القرآن جعله انسانا على الحقيقة ثم قال علمه البيان تنبيها على ان البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف العطف منه وجعل كل جملة بدلا مما قبلها لا عطفا على ان الانسان ما لم يكن عارفا برسوم العبادة ومتخصصا بها لا يكون انسانا وان كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا . فان قيل فعلى ماذكرته لا يصح ان يقال للكافر انسان وقد سماهم الله بذلك في عامة القرآن . قيل انا لم نقل انا لا نسمي الكافر انسانا على تعارف الكافة بل قلنا قضية العقل والشرع تقتضي ان لا يسمي به الا مجازا ما لم يوجد منه العقل المختص به ثم ان سمي به على سبيل تعارف العامة فليس ذلك بمنكر فكثير من الاسماء يستعمل على وجه فيبين الشرع ان ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم الغنى فانهم استعملوه في كثرة المال وبين الشرع ان الغني ليس هو كثرة المال قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى بكثرة المال وانما الغنى غنى النفس .

فيشير الى ان الغنى ليس هو كثرة المال وقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) أي كثير الاعراض[1] فاستعمله على ماهو متعارف . وجملة الأمر أن اسم الشيء اذا طلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول الاشرف منه كقوله تعالى (وانه لذكر لك ولقومك . وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وان كان الذكر قد يقال للمحمود والمذموم . وعلى هذا يمدح كل شيء بلفظ نوعه فيقال فلان هو انسان وهذا السيف سيف ولهذا قيل الانسان المطلق هو نبي كل زمان وقد قال عليه الصلاة والسلام الناس اثنان عالم ومتعلم وماعداهما همج[2] وقال بعض العلماء قول من قال الانسان هو الحي الناطق الميت صحيح وليس معناه ما توهمه كثير من الناس من انه من الحياة الحيوانية والموت الحيواني والنطق الذي هو في الانسان بالقوة وانما اريد بالحي من كان له الحياة المذكورة في قوله تعالى (لينذر من كان حيا)

(١) العرض بوزن الفلس المتاع وجمعه عروض ، لايجتمع اعراض الاعلى لغة من فتح الوسط (٢) يقال للرعاع الحمقى انما هم همج واصله الذباب الصغير يسقط على وجه الغنم وغيرها

وبالنطق البيان المذكور بقوله (علمه البيان) وبالميت من جعل قوته الشهوانية والغضبية مقهورتين على مقتضى الشريعة فيكون حينئذ ميتا بالارادة حيا بالطبيعة كما قيل مت بالارادة تحى بالطبيعة وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام من امات نفسه فى الدنيا فقد احياها فى الآخرة.

الباب الحادى والعشرون

فيما يتعلق بالشرع من الافعال

للانسان ضربان من الاحوال لا ينفك منهما ضرب لا يلحقه فيه محمدة ولا مذمة ولا فى جنسه تكليف وذلك شيئان احدهما أحوال ضرورية لا يمكنه ان يتفصى[1] منها كنبض العرق والتنفس ومايجرى مجراهما من الاحوال الضرورية . والآخر مايقع من الانسان على سبيل السهو والخطأ وان كان جنسه مقدورا له وهو المذكور فى قول النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . وضرب تلحقه فيه المحمدة والمذمة وفى جنسه التكليف وذلك ثلاثة أشياء احدها الافعال المختصة

(١) تفصى الانسان من الشىء تخلص

بالجوارح كالقيام والقعود والركوب والمشى والنظر وكل مايحتاج الى استعمال الاعضاء فيه . والثانى حفظ عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والفرح والغضب والشوق والرحمة والغيرة وما اشبه ذلك . والثالث مايختص بالتمييز والعلم . وكل واحد من هذه الثلاثة اما ان يحمد عليه الانسان أو يذم . فحمده ان تكون افعاله جميلة وعوارض نفسه مستقيمة وقلبه ذكيا حتى يعتقد الحق ويقوى على معرفته اذا ورد عليه . والمذمة تلحقه ان كانت على اضداد ذلك والعبادات بهذه الاشياء الثلاثة تختص . والله تعالى في كل فعل يتحراه الانسان عبادة سواء كان الفعل واجبا أو ندبا أو مباحا وتكون تلك العبادة مبينة اما ببديهة العقل أو بالكتاب أو بلسان النبي أو باجماع الامة أو بالاعتبارات والاقيسة المبنية على هذه الاصول بل مامن حكم الا وكتاب الله ينطوى عليه كما قال الله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شيء) عرفه من عرفه وجهله من جهله . ومامن مباح الا واذا تعاطاه الانسان على مايقتضيه حكم الله تعالى كان كالانسان فى تعاطيه عابدا لله مستحقا لثوابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد أنك لتؤجر فى كل شيء حتى اللقمة تضعها فى فى امرأتك . ومخاطبته لسعد

بذلك لما عرف منه انه يراعي في افعاله حكم الله تعالى . وعلى هذا الوجه قال ما من مسلم غرس غرسا لم يأكل منه شيئا الا كان له صدقة ومراعاة امر الله في جميع الامور دقيقها وجليلها مستحب للكافة وواجب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كل من تقرب منزلته من منزلته لقول الله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك)

الباب الثاني والعشرون

في تحقيق العبادة

العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة . فقولنا فعل اختياري يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو على سبيل الاختيار فان الترك ضربان ضرب على سبيل الاختيار وهو فعل . وضرب هو العدم المطلق لا اختيار معه بل هو عدم الاختيار وليس بفعل . وبقولنا مناف للشهوات البدنية يخرج منه ما ليس بطاعة واما الافعال المباحة كالاكل والشرب ومجامعة المرأة فليس بعبادة من حيث انها شهوة ولكنها قد تكون عبادة اذا تحرى بها حكم الشريعة وانما قيل تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى لانها ان

خلت عن نية أو صدرت عن نية لم يقصد بها التقرب الى الله تعالي بل اريد بها مرآة لم تكن أيضا عبادة وانما قيل طاعة للشريعة لأن من انشأ من نفسه فعلا ليس بسائغ فى الشريعة لم يكن عبادة وان قصد به التقرب الي الله تعالي فالعبادة اذا فعل يجمع هذه الاوصاف كلها

﴿الباب الثالث والعشرون﴾

فى انواع العبادة من العلم والعمل

العبادة ضربان علم وعمل وحقهما ان يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء وكما لا يغنى أس مالم يكن بناء ولا يثبت بناء ما لم يكن أس كذلك لا يغنى علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ولذلك قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والعلم اشرفهما لكن لا يغني بغير عمل ولشرفه قال رجل للنبي صلي الله عليه وسلم أيما الاعمال افضل يارسول الله فقال العلم فاعاد عليه السؤال فقال العلم فقال الرجل فى الثالثة اسألك عن العمل لا عن العلم فقال عليه السلام عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل . وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم *فالعلم ضربان نظرى وعملى فالنظرى ما اذا علم كفى ولم يحتج

فيه بعد الى عمل كمعرفة وحدانية الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومعرفة السموات وما اشبه ذلك . والعملى ماذا علم لم يغن حتى يعمل به كمعرفة الصلاة والزكاة والجهاد والصوم والحج وبر الوالدين . والاعمال ثلاثة اضرب منها مايختص بالقلب ومنها مايختص بالبدن ومنها مايشارك فيه البدن القلب . والعلم ايضا اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه عمل واذا نظر اليه وقد اكتسب وتصور فى القلب خرج فى تلك الحال عن ان يكون عملا ومن وجه آخر ضربان واجب وندب فالواجب يقال له العدل والندب يقال له الاحسان وهما المذكور ان فى قول الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فالفرض والعدل تحرى الانسان لما اذا عمله اثيب واذا تركه عوقب والندب والاحسان تحرى الانسان لما اذا عمله اثيب واذا تركه لم يعاقب والانصاف من العدل والتفضل من البر والاحسان فالانصاف هو مقابلة الخير من الخير والشر من الشر بما يوازيه والتفضل والبر مقابلة الخير باكثر منه والشر بأقل منه . فالاحسان والتفضل احتياط فى العدالة والانصاف ليؤمن به من وقوع

خلل فيه وذلك انك اذا زدت فى اعطاء ما عليك ونقصت فى اخذ مالك فقد احتطت واخذت بالحزم كدفع زيادة زكاء الى الفقير وترك ما أحل لك ان تتناول من مال اليتيم . فالعدالة ان كانت جميلة فالتفضل احسن منها ولذلك قال تعالى فيمن استوفى حقه فتحرى العدالة (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل) وقال سبحانه بعده (وأن تعفوا اقرب للتقوى) وقال عز وجل (ولا تنسوا الفضل بينكم) اشارة الى ان الاحسان حسن والتفضل احسن وقال عز وجل (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) فالانسان انما يكون محسنا متفضلا بعد ان يكون عادلا منصفا . فاما من ترك ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه فانه لا يقال له متفضل ولا يجوز تعاطي التفضل الا لمن كان مستوفيا وموفيا لنفسه فأما الحاكم المستوفى والموفى لغيره فليس له الا تحرى العدالة والنصفة [1]

﴿فصل﴾

العلوم من حيث الكيفية ضربان تصور وتصديق فالتصور هو ان يعرف الانسان معني الشيء صح عنده ذلك بدلالة أولم

(١) النصفة محركة الانصاف

يصح كمن عرف الصلاة وشرائطها وان لم تثبت صحتها عنده بدلالة والتصديق هو ان يتصور الشيء ويثبت عنده بدلالة تقتضي صحته

والتصديق على ثلاثة اضرب اما بغلبة الظن وهو ان يكون عليه دلالة وقد يعترضها شبه توهنها أو تبطلها قال الله تعالى (اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) واما بعلم اليقين وهو ان يصير بحيث يعلم ويعلم انه يعلم ولا تعترضه شبه توهنه كالعلم مثلا بان ثلاثة وثلاثة ستة وانه لا يصح ان يكون أكثر من ذلك أو اقل قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) واما بعين اليقين وهو أن يرى بعقله الشيء ويعانيه ببصيرته في حال اليقظة والنوم وقد نبه الله تعالى على هذه الوجوه بقوله (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين)*فاما التصورات المجردة فالعامة الذين قال الله تعالى فيهم (ولو ردوه الي الرسول والي أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه) وأما غلبة الظن فللعامة الذين مدحهم الله بقوله (الذين يظنون أنهم

ملاقوا ربهم)*وأما علم اليقين فللخاصة*وأما عين اليقين ففي الدنيا للانبياء ولبعض الصديقين. والي نحوه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تنام عيني ولا ينام قلبي. وبقوله انى ارى من خلفي كما أرى من قدامي قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقال بعض الحكماء علم اليقين يحصل للعقل بالفكر والذكر فان العقل بفكره أي ببحثه يدرك المعارف وبذكره يستحضرها اذا نسيها وغفل واشتغل عنها وبذهنه ينظر اليها دائما كما ننظر نحن الى محسوس غير غائب عن ابصارنا بلا حاجة الى بحث وطلب وتفكر وتذكر وكذلك قيل الانسان يعقل فينظر الى الحق بالفكر والملائكة دائما ينظرون اليه بالذهن من غير حاجة الى تفكر وطلب

﴿ فصل ﴾

للانسان في استفادة العلم وافادته ثلاثة أحوال حال استفادة فقط وحال استفادة ممن فوقه وافادة لمن دونه وحال افادة فقط وقل من يستحق ان يوجد مفيدا غير مستفيد ففوق كل ذي علم عليم الى ان ينتهي الامر الي علام الغيوب فقد نبه الله تعالي علي الحاجة الي الاستفادة بما حكاه من قول موسى عليه السلام لصاحبه (هل اتبعك على ان

تعلمني مما علمت رشدها) ونبه بما ذكر في قصة سليمان عليه السلام عن الهدهد بقوله (احطت بما لم تحط به علما) ان الكبير قد يفتقر الى الصغير في بعض العلوم فاذا الانسان مادام حيا يجب أن لا يخرج من كونه مستفيدا ومفيدا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج

﴿ الباب الرابع والعشرون ﴾

في أن الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها

لم يكلف الله الناس عبادته لينتفع هو تعالى بها انتفاع المولى باستعباد عبيده واستخدام خدمه فان الله غني عن العالمين ولا ليؤدبهم فقد قال تعالى (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) بل كلفهم لتزيل انجاسهم وامراضهم النفسية فبذلك يمكنهم ان يحصلوا حياة أبدية وسلامة باقية سرمدية فان من ولد يكون ميتا بالاضافة الى أصحاب الدار الآخرة وفاقدا للعين التي بها يعرفهم والسمع الذي به يسمع تحاورهم واللسان الذي به يخاطبونه ويخاطبهم والعقل الذي به يعقلهم فليس تلكم الحياة والعين والسمع ما للانسان في الحياة الدنيا وكيف يكون كذلك وقد نفى الله ذلك عن الكفار وجعلهم أمواتا

وصما وبكما وعميا فان الانسان له قوة على تحصيل تلك الامور في ابتداء أمره وان أهمل نفسه فاتت عنه تلك القوة فلا يمكنه بعد قبول ذلك كالفحم اذا صار رمادا فلا يقبل بعد ذلك نارا فمن استمر في كفره وفسقه وتمادى فيه صار اما ميتا أو مريضا أو أصم لا يقبل الشفاء ولذلك قال الله تعالى فيمن ثكل هذه القوة (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) وقال تعالى (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى (في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) وقال تعالى (انما المشركون نجس) وقال تعالي في المؤمنين (لينذر من كان حيا) وقال فيهم (أولي الايدي والابصار) فمن استفاد الحياة والصحة والطهارة قبل ان تبطل عنه هذه القوى أعني قبول ذلك فصار حيا سميعا بصيرا طاهرا وحصل زادا كما أمره الله تعالي بقوله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) واهتدى بالدليل الموصوف بقوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الي الله تصير الامور) وائتمر له تعالى بقوله (سابقوا الى مغفرة من ربكم) واقتدى بالموصوفين بقوله سبحانه (يسارعون في

الخيرات) فجدير لمن يفلح فيحصل هذه السعادة كما قال الله تعالى (لعلكم تفلحون)

الباب الخامس والعشرون

في بيان الامراض والانجاس التى لايمكن ازالتها الا بالشرع

كما ان فى بدن الانسان عوارض وأمورا موجودة عند الولادة أو توجد حالا فحالا بحكمة تقتضى ذلك وهي تعد نجاسات لابد من إماطتها كلها أو إماطة فضولاتها وذلك كالسلى[1] والسرة والقلفة والعقيقة الموجودة فى الصبي عند الولادة وكالاوساخ والقمل والظفر وشعر العانة وشعر الابط كذلك فى نفس الانسان عوارض هى نجاسات وأمراض نفسانية يلزم أماطتها كالجهل والشره والعجلة والشح والظلم . ويدل على كون ذلك مخلوقا فيه وأمره باماطته واماطة فضلاته ماذكر الله تعالى فى مواضع من كتابه بقوله « خلق الانسان من عجل » فذكر انه مخلوق منه كما ترى . ثم امره ان ينحيه عن نفسه وان لا يستعين به فقال (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) وقوله تعالى (انه كان ظلوما جهولا) ثم أمره بالعلم والعدل فى غير موضع

(١) السلى على وزن الحصى الذى يكون فيه الولد

من كتابه . وقوله تعالى (واحضرت الانفس الشح) ثم قال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فأمره باتقاء الشح مع احضاره اياه . وقوله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) ووصفه بالكفور والقتور فى قوله (وكان الانسان كفورا) وقوله تعالى (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتور) فأدخل عليه كان تنبيها على ان ذلك فيه غريزي موجود قبل لا هو شيء طارىء عليه . وقوله تعالى (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) ثم نهى عن اكثر الجدال فالانسان يحتاج ان يستعمل هذه القوى فى الدنيا كما يجب وفى وقت مايجب وبقدر مايجب وان يميط فضولاتها قبل خروجه من الدنيا حسب ماوردت به الشريعة فانه متى لم يتطهر من النجاسة ولم يزل أمراض نفسه لم يجد سبيلا الى نعيم الاخرة بل ولا الى طيب الحياة الدنيا وذلك ان من تطهر تجلى عن قلبه الغشاوة فيعلم الحق حقا والباطل باطلا فلا يشغله الا مايعنيه ولا يتناول الا مايعنيه فيحيا حياة طيبة كما قال تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) ولا تصير قنياته فى الدنيا وبالا عليه وعذابا كما قال الله تعالى فى الكفار) فلا

تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) ويصير قلبه اذا تطهر مقر السكينة والارواح الطيبة كما وصف الله تعالي المؤمنين بقوله (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وعرف الطريق التي بها التوصل الى الجنة المأوي ومصاحبة الملأ الاعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فيسارع فى الخيرات ويسابق الى مغفرة من ربه ومتى بقيت نجاسته وتزايدت صار قلبه مقر الشبه والاثام كما قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم) ولا يجد سبيلا الى سعادة الدار الاخرة كما قال الله تعالي (ايطمع كل (امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون) فنبه على انه لا يصلح لجنته مالم تطهر ذاته عن اشياء هى مخلوقة فيها وعلى هذا دل قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) . فحق الانسان ان يراعى هذه القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الذى يجب وكما يجب ليكون كمن وصفه الله تعالى بقوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما

كنتم تعملون) وقد يقع للانسان شبهة فى امر هذه النجاسات فيقول اترى ان ذلك من عند غير الله فان كان من غيره فمن اين يوجده ومن اين منبعه وان كان منه فما المعنى فى ان أوجده فى الانسان ثم امره بان يزيله فيقال مامن شىء اوجده الله او امكن من ايجاده الا وفيه حكمة ومنفعة وان لم يعرف ذلك البشر لكن من الاشياء مانفعه فى وقت مخصوص او اذا كان على قدر مخصوص ثم اذا استغنى عنه أو زاد على قدر مايحتاج اليه يجب ان يزال وذلك اذ تؤمل ظاهر اذ من المعلوم ان السلا والسرة يحتاج اليهما لصيانة الولد فى وقت ثم يستغنى عنهما فيكون ابقاءهما بعد نجاسة والشعر والظفر يحتاج اليهما اذا كانا على حد واذا زادا يجب اماطتهما

الباب السادس والعشرون

فى القوى التى يجب ازالة امراضها وانجاسها والمعانى التى تحصل منها ازاله النجاسة واجتلاب الطهارة المذكورة فى قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) واكتساب الصحة واماطة المرض المذكور فى قوله تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) يكون باصلاح القوى الثلاثة

التى هي دواعى الانسان فى متصرفاته وهي قوة الشهوة وقوة الحمية وقوة الفكر فباصطلاح قوة الشهوة تحصل العفة فيحترز بها من الشره واماتة الشهوة ويتحرى المصلحة فى المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح وطلب الراحة وغير ذلك من اللذات الحسية وباصلاح قوة الحمية تحصل الشجاعة فيحترز من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد فى الخوف والغضب والانفة وغير ذلك وباصلاح قوة الفكر تحصل الحكمة حتى يحترز من البله والجربزة [1] ويتحرى الاقتصاد فى تدبير الامور الدنيوية وليس نعنى بالحكمة ههنا العلوم النظرية وانما نعنى بها الحكمة العلمية التى يتحرى بها المصالح الدنيوية وباصلاح هذه القوى يحصل فى الانسان قوة العدالة فيقتدى بالله تعالى فى سياسة نفسه وسياسة غيره فنفس الانسان معادية له كما قال تعالي (ان النفس لامارة بالسوءِ الامارحم ربى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك فمن ادبها أو قمعها امن ظلمها والى هذا اشار الله تعالى

(١) الجربز بالضم الخب الخبيث معرب كربز والمصدر الجزبزة والخب بالفتح والكسر الرجل الخداع

بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولاهضما) أى لايخاف ان تظلمه نفسه الشهوية فالاعمال الصالحة حصن منها لقول الله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

الباب السابع والعشرون

في كون الانسان مفطورا على اصلاح النفس

الانسان مفطور فى اصل الخلقة على ان يصلح افعاله واخلاقه وتميزه وعلي ان يفسدها وميسر له ان يسلك طريق الخير والشر وان كان منهم من هو بالجملة الى احدهما اميل . وعلى تمكنه من السبيلين دل الله بقوله (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) وقوله تعالى (وهديناه النجدين) أى عرفناه الطريقين وكما انه مفطور على اكتساب الاخرين فى ابتدائه مفطور علي انه اذا تعاطى احدهما ان خيرا وان شرا الفه فاذا الفه تعوده واذا تعوده تطبع به واذا تطبع به صار له طبعا وملكة فيصير فيه بحيث لو اراد ان يتركه لم يمكنه كما قيل

﴿وتأبى الطباع على الناقل﴾

ويكون مثله كمثل شجر نبت فاعوج سهل فى الابتداء تثقيفه وتسويته بخيط يشد فيه أو بخشب يفرش بجنبه فيسدد به ثم اذا غلظ واشتد مستويا امن ان يعوج بل لا يمكن تعويجه وان ترك حتي يعوج فيصلب على عوجه لم يمكن بعد تثقيفه كما قال الشاعر

يقوم بالثقاف العود لدنا ولا يتقوم العود الصليب

وعلى هذا الوجه قال الله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) وقال تعالى (ويدرأون بالحسنة السيئة) وقد توهم قوم ان لا اثر للتأديب والتهذيب فان الناس مجبولون على طبائع لا سبيل الى تغييرها فمنهم اخيار بالطبع ومنهم اشرار بالطبع واستدلوا بقول الله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) وقوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فنبه الله بهذا المعني على ان كل انسان على حال لا سبيل الى تغييرها . وقول النبى صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له . وقوله عليه السلام (فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل) وبقوله تعالى (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) وقوله (انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) وقوله (ولقد اخترناهم على

علم على العالمين) والناس وان تفاوتوا في اصل الخلقة فما احد الا وله قوة على اكتساب قدر ما من الفضيلة ولولا ذلك لبطلت فائدة الوعظ والانذار والتأديب

الباب الثامن والعشرون

في سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة

سبب تأخر الانسان عن الفضيلة لا يخلو من أوجه اما ان يكون نقصا في اصل خلقته وعجز امر كبا في جبلته يتقاعد به عن تحصيل القوة وجمع الآلة التي يتوصل بها الى السعادة كمن تضعف نحيزته[1] أولا يفضل عن طلب معايشه الضرورية في وقته أولا يجد هاديا يرشده فمن كان كذلك فمعذور لقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) واما انه غير عاجز عن ذلك لكن لم يساعده على بلوغه عمره فذلك قد وقع اجره على الله كما قال الله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) واما ان يتفق له مرب ومعلم مضل فيضله عن الطريق وهذا ان لم يتمكن من الاهتداء بمن يرشده ويسدده يكون معذورا والا ثم فيما يرتكبه

(١) التحيزة البيطعة

لمن قد اضله لاله كما قال الله تعالى في المضلين (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء مايزرون) وان تمكن بعد ممن يهديه فلم يهتد به يكون هو ومضله مشتركين في الاثم كما قال الله تعالى (احشروا الذين ظلموا وازواجهم) واما ان يكون ضلاله من جهة نفسه لا من جهة شيء مما تقدم وذلك هو المتوعد بالعذاب فمن ازاح الله علته بالفهم والكفاية والعلم الناصح فرغب عن الاهتداء وترك طريقة الرشاد يكون كمن وصفه الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وبقوله (ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) واكثر منه عقوبة من استفاد العلم وعرف الحق وسلك من طريق الخير مراحل ثم ارتد عنها راجعا كمن وصفه الله بقوله (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم) وبقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه الآية)

الباب التاسع والعشرون

في احوال الناس ومنازلهم وفي تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها

الناس فى اقامة العبادات وتحرى الخيرات على اربعة اضرب الاول من له العلم بما يجب ان يفعل وله مع ذلك قوة العزيمة على العمل به وهم الموصوفون بقوله عز وجل فى غير موضع (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (الثانى من عدمهما جميعا وهم الموصوفون بقول الله تعالي (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . وقوله ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) الثالث من له العلم وليس له قوة العزيمة على فعله فهو فى مرتبة الجاهل بل هو شر منه كما روى ان حكيما سئل متى يكون العلم شرا من الجهل فقال ان لا يعمل به . وروي عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه انه قال من كانت ضلالته بعد التصديق بالحق فهو بعيد من المغفرة * الرابع من ليس له العلم لكن له قوة العزيمة فهذا متى انقاد لاهل العلم وعمل بقولهم انجح فى فعله وصار من الموصوفين بقوله تعالى (أولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

والافعال الجميلة والقبيحة يقوي الانسان فيها بتكريرها مرارا كثيرة وزمانا طويلا وقتا بعد وقت فى أوقات متفاوتة فان من فعل

ذلك فى شىء اعتاده واذا اعتاده تخلق به فالحذق فى الصناعة كالكتابة مثلا يكون باعتياده فعل من هو حاذق فى الكتابة . والافعال التى تحصل عن الاخلاق بعد حصولها هى بأعيانها الافعال التى يتعاطاها المتخلق بها حتى تصير خلقا فحق الانسان ان يتدرب بفعل الخير فان من تعود فعلا صار له ملكة كالصبى قد يلعب بتعاطي صناعة فيؤدى لعبه بها الى ان يتعلمها

﴿ فصل ﴾

العبادات تكون محمودة اذا تعاطاها الانسان طوعا واختارا لا اتفاقا واضطرارا ودائما لا فى زمان دون زمان ولاجل ان ذاتها حسنة لا لأجل غيرها فمن أقامها على هذا الوجه فهو الموصوف بقوله تعالى (واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم اخلص يكفك القليل من العمل ولا يرضي تعالى الا الاخلاص كما قال الله تعالى (الا لله الدين الخالص) . فان من فعل خيرا نحو ان يصلى لانه اتفق اجتماعه مع المصلين فساعدهم أو اكره ان يصلى أو صلاها فى شهر

رمضان مثلا دون سائر الاوقات أولاجل ان ينال بها جاها أو مالا فليس ذلك ممن يستحق بها محمدة وكذا من ترك قبيحا أما اتفاقا أو اضطرارا أو خوفا أو فى زمان دون زمان أولان ينال بذلك أمرا دنيويا فليس بمحمود ولهذا قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . تنبيها على ان من لم ينفق ماله هكذا ويعلوه خوف من الفقر وحزن على الانفاق فلا يحصل له بذلك فضيلة ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب .. الآية

الباب الثلاثون

فى ارتداد الناس من طريق الخير والشر

للانسان فيما يتحراه من الخير والشر حالتان حالة يتمكن فيها من الارتداد على ادباره فيما يتعاطاه ان خيرا وان شرا وذلك قبل ان يمعن فى سيره ويتناهى فى ممره وحالة يتعذر عليه الارتداد على ادباره بل لا يكون له سبيل الى الرجوع وذلك اذا امعن فى

سيره وتناهي في ممره . وذلك ان كل من كان متعاطيا لفعل خير فتكاسل عنه ومتعاطيا لشر فلم يقلع عنه أورثه كسله ضيق صدر يجري الخير كما قال الله تعالى (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) . وانشراح صدره بفعل الشر كما قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) . فان استمر على ذلك ولم يقلع اورثه ذلك رينا كما قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فأن تمادي في ذلك واستمر أورثه ذلك غشاوة كما قال تعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فان ازداد أورثه ذلك طبعا وختما كما قال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) . وقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . فان ازداد صار ذلك قفلا كما قال الله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) ثم اذا تمادى صار قلبه موتا قلما ترجى له حياة فلا تنفعه الآيات والنذر كما قال الله تعالى (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) . ومن حيث ان الله تعالى علم من احوال من بلغ هذا المبلغ انه لا يتوب ولا يؤب قال الله تعالى (ان الذين كفروا بعد

ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) فلم يرد تعالى انهم اذا تابوا لن تقبل توبتهم بل نبه بذلك على انهم لا يتوبون فتقبل توبتهم فدل منتهى الفعل على مبدأه وهذا من كلامهم كقول الشاعر

(ولا يرى الضبُّ بها ينجحر)[1]

أى ليس بها ضب فينجحر فنفى انجحار الضب وهو فى الحقيقة نفى لوجود الضب بها وعلى هذا دل قوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اي لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم وعلى هذا قال الله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) . تنبيها على ان هؤلاء هم الذين يرجي لهم التوبة وعلى هذه الجملة المذكورة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أذنب الرجل نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا أذنب ثانيا نكتت أخري فلا يزال كذلك حتي يصير قلبه كلون الشاة الرمداء . وفى خبر آخر الذنب على

(١) جحر الضب دخل جحره وهو كل شيء تحفره السباع والهوام بانفسها وجحر فلان الضب ادخله فيه فانجحر

الذنب حتى يسود القلب فلا ترجى له الانابة . وكذا حال الانسان فيما يتعاطاه من فعل الخير فان من صبر فى اقتراف الحسنة أورثه صبره حسنا كما وصف الله به الصابرين فى مواضع من كتابه قال تعالى (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فان استمر فى ذلك بعض الاستمرار اهتز ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) . فان دام على ذلك امتحن وتطهر قلبه كما قال الله تعالى (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) . ويكون كما وصفه في هذه السورة (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) فان تزايد فى فعله انضم اليه من الله تعالى باعث يهزه وداع يبعثه عليه كما قال الله تعالى (هو الذي انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع ايمانهم) . فحق الانسان ان لا يسامح نفسه فى الاجتهاد وان لا يخل بخير تعوده ولا يرخص لها فى شر ارتكبه فتعاطي صغير الذنب يفضى الى ارتكاب الكبير والاخلال بقليل الخير يؤدى الى الاخلال بكثيره كما قال الشاعر

وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله «ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر» فتبين ان قولهم للذين كرهوا ما نزل الله ادى بهم الى الارتداد على ادبارهم وقال تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) فنبه على ان بعض ما كسبوا ادى بهم الى الانهزام فالمتدرب فى فعل الخير المتقوى فيه يصير بحيث يكون له من الله تعالى واقية تحفظه عن الافعال القبيحة وتحثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة وعلى ذلك نبه الله تعالى فى صفة أوليائه بقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) والمتدرب بفعل الشر المتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له بما ارتكبه من القبائح باعث يبعثه على الافعال القبيحة ويحثه على الافعال السيئة ويسد عليه طرق الافعال الحسنة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله فى صفة اعدائه (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم

سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون) وقال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) وقد نسب الله هداية العبد وضلاله جميعا الى نفسه من حيث انه جعل خلقه وطبعه بحيث اذا تعاطى فعلا ان خيرا وان شرا فاستمر عليه يصير ذلك طبعاله ملازما لا يرجع عنه ولم ينسب المنع من الايمان الى نفسه الا بعد ذكر ما كان من اساءة العبد نحو قوله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فخص الذين لا يؤمنون بان جعل الشيطان أولياءهم وقال تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير وقال تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون) قال الشاعر

زين فى عينك القبيح كما زين فى عين غيرك الحسن

الباب الحادى والثلاثون

فى قدر ما فى الوسع من اكتساب السعادة

الانسان لما كان على هيئة العالم أوجد فيه كل ما أوجد فى العالم وكما ان فى العالم اشياء لا يتأتى اصلاحها وحيوانات لا يمكن تأديبها كذلك فى الانسان قوى لا يتأتى اصلاحها وتهذيبها وكان له مع ذلك مثبطات عما أمر به وتقصير عما كلف ولهذا قال الله تعالى (قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه . الى قوله كلا لما يقض ما امره) فنبه على ان الانسان لا يكاد يخرج من دنياه وقد قضى وطره ولذلك يجب على الانسان ان يجتهد فى اداء ما امكنه ويطهر نفسه بقدر ما يتيسر له والرغبة الى الله تعالى فى تكفير ما قصر فيه ويتحقق انه اذا فعل ما امكنه فقد اعذر لقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فاذا فعل ما امكنه يكون قد ترشح ان يزيل الله عنه باقي السيئات كما قال الله تعالى (يا ايها الذى آمنوا توبوا الي الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) ولهذا امرنا تعالى ان ندبم الدعاء بقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) وقال تعالى (والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) فأمرنا ان نرغب اليه فى اتمام ما قصرنا عن اكتسابه وقوله (والذى

جاء بالصدق الى قوله (ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) ولهذه الجملة قال جعفر الصادق رضى الله عنه من زعم انه يصل الى الحق ببذل المجهود فهو متعن ومن زعم انه يصل اليه بغير بذل المجهود فهو متمن * ولقصور الانسان عن تزكية نفسه بالتمام قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة بعمله قيل ولا انت يا نبى الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقال تعالى تنبيها على هذا المعنى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء). وبيان قصور الانسان عن تزكية نفسه على التمام هو ان الانسان حيوان ناطق متفكر والحيوان جوهر متنفس حساس والمتنفس جوهر متغذ متربى لا قوام له الا بالغذاء كما قال الله تعالى (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فالانسان مادام فى الدنيا لا ينفك عن مشاركة البهائم والسباع لكونه حيوانا محتاجا الي ما تحتاج اليه وعن مشاركة الاشجار والنبات لكونه متنفسا محتاجا الى ما تحتاج اليه . والانسان اذا لم يقتحم العقبة ويفك الرقبة ولم يتعر عن الحاجات الدنية لم يأمن شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقال الله تعالى

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) قال بعض المفسرين ان ابراهيم لما سأل الله تعالى فقال (رب ارنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) انما سأله ان يريه الحياة المتعرية عن العوارض العارضة للحيوانات فقال أولم تؤمن أى أولم تتحقق قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أى ليتصور لى كيفيه الطمأنينة أى تبري النفس من الشره والحرص والامل والافتخار واعاين الحالة المذكورة فى قوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) فأمره ان يأخذ أربعة طيور غرابا وهو المخصوص بالحرص والشره ونسرا وهو المخصوص بالامل وطاووسا وهو المخصوص بالافتخار . وديكا وهو المخصوص بالشبق فأمره ان يقطعهن ويصرهن أى يدعوهن ولما فعل ذلك صرن اليه عاجلا فنبه الله تعالى بذلك على ان الانسان وان اجتهد كل الاجتهاد فى حذف هذه المعانى عن نفسه وتطهير ذاته منها لن يتطهر مادامت البشرية الدنيوية حاصلة له ولن تحصل له الطمأنينة المطلوبة . فاما مايدعيه قوم ان من الناس من قد تجرد عن هذه الخصائص حتى يستغني عن

الطعام والشراب ويصير بحيث لا تعتريه الاخلاق البهيمية فهذا ان حصل فى بعض الناس فان ذلك يكون حينئذ ملكا متشبحا يسمى باسم الانسان على سبيل الاشتراك فى الاسم فيكون متبدل الجوهر تبدل جوهر النار اذا صارت بردا وسلاما وتبدل الدعموص [1] اذا صار ضفدعا والدود اذا صار فراشا وكثيرا من النبات اذا صار جوهر آخر وحيوانا كدودة القز وليس ذلك بمنكر فى القدرة الالهية وهو حينئذ خارج عن الاستصلاح للافعال التى خلق الانسان لاجلها مستخلفا فى الارض مستعمرا فيها

﴿فصل﴾

اعلم ان من هاجر الى الله وجاهد فى سبيله فحقيق ان يهديه الى سبيله كما وعد به فى قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا الى قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) والهجرة العظمى هجران فضول الشهوات والمجاهدة الكبرى مدافعة الهوى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم جهادك فى هواك . فمن هدى الى سبيله وامعن فى مسيره مسارعا فى

(١) الدعموص بالضم دويبة توجد فى الغدران

الخيرات ومسابقا الى مغفرة ربه فحقيق ان يصير من الابدال ومعني الابدال هم الذين يبدلون من اخلاقهم وافعالهم الذميمة اخلاقا وافعالا حميدة فيجعلون بدل الجهل العلم و بدل الشح الجود وبدل الشره العفة وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وعلى ذلك دل قوله تعالي (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات) والانسان اذا صار من الابدال فقد ارتقي الى درجة الاحباب الذين عناهم الله تعالى بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فيجعله مهيبا في البشر معظم القدر عند كل احد بل قد يبلغ مبلغا تخضع له البهائم والسباع والوحوش والحشرات كخضوعها لسليمان بن داود عليهما السلام ويصير الحديد له لينا كما لان لنبيه داود عليه السلام وتصير النار له اذا خاضها بردا وسلاما كما صارت على ابراهيم عليه السلام وتنقاد له الريح فيركبها كركوب سليمان وتسخر له المياه فيمشي عليها كتسخيرها للخضر عليه السلام بيكلمه النبات والمعادن والافلاك والنجوم فتقفه على منافعها وتخبره بسرائرها كمكالمتها لادريس عليه السلام *روى انه

اذا احب الله عبدا البسه صورة من صورته ونفخ فيه روحا من روحه حتى ينقاد له كل حجر ومدر ويتواضع له كل طائر وسبع بل قد يخصه بكرامات لا يمكن ان يطلع على معرفتها غير من خص بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال تعالى اشارة لها هذا المعنى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) وهذه الاحوال كما تكون للانبياء فقد تكون للاولياء المخصوصين بالكرامة وليس ذلك بمستبدع ولا منكر فى قدرة الله تعالى ولا بمناف فى حكمته كما ظن بعض المتكلمين ان ذلك اظهره على غير انبيائه لا يؤمن ان يفتتن به الناس وانه يؤدى الى اشتباه امر المعجزة على الكافة فان أحكم الحاكمين لا يؤتى هذه المكرمة الا من هو أهلها كما نبه عليه سبحانه بقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن بلغه هذه المنزلة فقد آتاه لا شك من العلم والحكمة قدر ما يهديه ويرشد به وعرف ما يمسكه فيستقيم كما أمر فيه فيعرف قدره ولا يتعدى طوره

الباب الثانى والثلاثون

في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل بعده من السعادة

لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة الاجماعة من الطبعيين اهملوا افكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم عن التفكر فى مبدأهم ومنشأهم شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة فى قوله تعالي (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) وأما من كان سويا ولم يمش مكبا على وجهه لكونه كالانعام بل هم أضل سبيلا وتأمل أجزاء العالم علم ان أفضلها ذوات الارواح وأفضل ذوات الارواح ذوو الارادة والاختيار فى هذا العالم وأفضل ذوي الارادة والاختيار الناظر فى العواقب وهو الانسان فيعلم ان النظر فى العواقب من خاصية الانسان وانه لم يجعل تعالى هذه الخاصية له الا لامر جعله له في العقبي والا كان وجود هذه القوة فيه باطلا فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصبا وهما وحزنا ولا يكون بعده حال مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان فيقتضى ان

تكون هذه الحكم الالهية والبدائع الربانية التي أظهرها الله تعالي في الانسان عبثا كما نبه الله عليه بقوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) فان أحكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سوى ماتشاركه فيه البهائم من الاكل والشرب والفساد مع مايشوبه من التعب الذى قد أغنى عنه الحيوانات سفه (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا) تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وما اظهر عند من القي عن مناكبه دثار العماية صدق أمير المؤمنين على عليه السلام فى قوله الدنيا دار ممر لا دار مقر فأعبروها ولا تعمروها. وقد خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم القرار. وكثير من الجهال اغتروا بقوم وصفوا بوفور العقل فى أمور الدنيا حيث انكروا امر الآخرة فقالوا لو كان ذلك حقا لم ينكره أمثالهم مع وفور عقولهم وكثرة فهمهم ولم يعلموا ان العقل وان كان جوهرا شريفا فانه لا يتوجه الا حيث وجه ولا غناء له الا فيما اليه صرف فاذا صرف الى أمور الآخرة احكمها واذا صرف الى أمور الدنيا قبلها وعكف عليها وأخل بما سواها فتقصر بصيرته حينئذ عن الامور

الاخروية كما نبه الله عليه في غير موضع من كتابه وقد تقدم القول فيه

﴿فصل﴾

اعلم ان الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح للبدن هو احد الاسباب الموصلة للانسان الى النعيم الابدى وهو انتقال من دار الى دار كما روي انكم خلقتم للابد لكنكم تنقلون من دار الي دار حتى يستقر بكم القرار فهو وان كان في الظاهر فناء واضمحلالا فهو في الحقيقة ولادة ثانية قال الشاعر في ذلك

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حاملة تمام

فانه جعل للمنون حملا كحمل المرأة وتمخضا كتمخضها وولادة كولادتها تنبيها على انه أحد أسباب الكون . قال بعضهم الانسان مادام في دنياه جار مجرى الفرخ في البيضة فكما ان من كمال الفرخ تفلق البيض عنه وخروجه منه كذلك من شرط كمال الانسان مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الانسان فالموت اذا ضروري في كمال الانسانية ولكون الموت سببا للانتقال من حال او ضع الى حال اشرف وارفع سماه الله تعالى توفيا وامساكا عنده فقال

تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) ولهذا تقول العرب استأثر الله بفلان ولحق بالله ونحو ذلك من الالفاظ ولاجل ان الموت الحيوانى انتقال من منزل ادنى الى منزل اعلى احبه من وثق بماله عند الله ولم يكره هذا الا احد رجلين احدهما من لا يؤمن بالاخرة وعنده ان لا حياة ولا نعيم الا فى الدنيا كمن وصفهم الله تعالى بقوله (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزه من العذاب ان يعمر) وقال بعض من هذه طريقته شعرا فى هذا المعنى

خذ من الدنيا بحظ قبل ان تنقل عنها
فهي دار ليس تلقى بعدها أطيب منها

والثانى يؤمن به ولكن يخاف ذنبه فأما من لم يكن كذلك فانه يحبه ويتمناه كما أحبه الصالحون وتمنوه . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال تعالى (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تنبيها على ان من يكون متحققا

بحسن حاله عند الله لم يكره الموت. فالموت هو باب من أبواب الجنة منه يتوصل اليها ولو لم يكن موت لم تكن الجنة ولذلك من الله تعالى به على الانسان فقال (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) فقدم الموت على الحياة تنبيها على انه يتوصل به الى الحياة الحقيقية وعده علينا فى نعمه فقال (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فجعل الموت انعاما كما جعل الحياة انعاما لانه لما كانت الحياة الاخروية نعمة لا وصول اليها الا بالموت فالموت نعمة لان السبب الذى يتوصل به الى النعمة نعمة ولكون الموت ذريعة الى السعادة الكبرى لم يكن الانبياء والحكماء يخافونه حتى قال أمير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السلام والله ما ابالى اقع على الموت أو يقع الموت على . وكانوا يتوقعونه ويرون انهم فى حبس فينتظرون المبشر باطلاقهم. وعلى هذا روى الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. وقيل انه لما مات داود الطائى سمع هاتف يقول اطلق داود من السجن . قال تعالى (ولئن متم او قتلتم لاولى الله تحشرون) تنبيها على ان الموت سبيل الحياة المستفادة عند الله تعالى وقال تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم

مغفرة من الله ورحمة و خير مما يجمعون) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين . الآية وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله (ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون فنبه على ان هذه التغيرات خلق احسن فنقض هذه البنية لاعادتها على وجه اشرف كالنوى المزروع الذى لا يصير نخلا مثمرا الا بعد افساد جثتها وكذلك البر اذا اردنا ان نجعله زيادة في اجسامنا يحتاج ان يطحن ويعجن ويخبز ويؤكل فيغير تغييرات كثيرة هي فساد لها في الظاهر وكذلك البذر اذا القى في الارض يعده من لا يتصور مآله وحاله فسادا فالنفس تحب البقاء في هذه الدار اذا كانت قذرة راضية بالاعراض الدنوية رضا الجعل بالحش اوجاهلة بمآلها في المآل

الباب الثالث والثلاثون

في فضيلة الانسان اذا اشرف على الملائكة

قد تقدم ان الناس ضربان متردد لم يحفظ من الانسانية الا بالصورة التخطيطية من انتصاب القامة وعرض الظفر والقوة على الضحك

ولنوع من النطق يجري مجرى المكاء والتصدية وهو دون البهائم
وضرب هو الانسان وهو المعني بما خلق لاجله فمن كان كذلك
حالا ان احداهما حالته وهو في الدنيا ولم يقتحم العقبة ويفك الرقبة
بل هو سريع جوعة واسير شهوة تتنته العرقة وتوله البقة وتقتله
البرغوثة ولما يقض ما امره في وما نام في دياه لا يحكم له بانه افضل
من الملائكة على الاطلاق والحالة الثانية قد اقتحم العقبة وفك الرقبة
بعد ما قضى ما امره فصار من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بل قد جعل في مقعد صدق عند مليك مقتدر في حياة بلا ممات وغنى بلا
فقر وعز بلا ذل وعلا بلا جهل وخدمت الملائكة تخدمه كما قال تعالى
(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار) فحينئذ من جعل له هذه المنزلة فهو افضل من كثير من
الملائكة أعاننا الله على بلوغ هذه المنزلة وجعلنا من المتوسمين له
برحمته انه على ما يشاء قدير

فهذا آخر ما قصدت من بيان تفصيل النشاتين وتحصيل السعادتين
نفعني الله به زمن نظر فيه وعلى ما يشاء قدير والحمد
لله وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين الطيبين